

غانة في العصور الوسطى

دكتور ابراهيم على طرخان

١٥١
١٥٥

أقدم إمبراطورية قامت في السودان الغربي — تفسير إسمها — عناصر سكانها :
السونك — حكومة البيض الأولى — حكومة السونك — العاصمة غانة أو كومي
صالح — ما أسفرت عنه عمليات الحفر — ظهور الإسلام وقدم انتشاره في غربي
أفريقيا — قدم الإسلام في غانة — نمو المدينة الإسلامية أو القسم الإسلامي في عاصمة
غانة — الهنبيون — أهمية المسلمين في غانة — إسلام بعض ملوك السونك — دور
المرابطين — قيام حكومة غانة الإسلامية وارتباطها بالخلافة العباسية — أحوالها
العامة : نظم الحكم وتقاليده — الحياة الاقتصادية : صادرات غانة و وارداتها —
تجارة الملح — نقاره وتجارة الذهب — التجارة الصامتة — تجارة الرقيق —
البناء الاجتماعي في إمبراطورية غانة — ترف الملوك — التريب والتصفيق في التبعة
الملكية — بعض العادات الوثنية — الحياة الروحية والثقافية — العلاقات الخارجية —
نهاية غانة (١٢٠٣ م) — الجمهوريات الحديثة التي قامت في أراضي غانة — لم
استعارت جمهورية غانة الحديثة اسم الإمبراطورية التاريخية المريق ؟

تعتبر إمبراطورية غانا التاريخية أقدم الإمبراطوريات الأفريقية القومية التي قامت
بالسودان الغربي ؛ وقد بلغت هذه الإمبراطورية ذروة مجدها خلال القرن الحادي
عشر الميلادي (١).

ونظراً لندرة الوثائق الخاصة ببناءه ، فإن المعلومات المتداولة عن فجر تاريخها
ليست من الدقة بحيث يمكن الاعتماد عليها ، وتبدأ المعلومات والمعارف المتعلقة بتاريخ
غانة تتضح منذ القرن الثامن الميلادي فصاعداً . يقول الفع محمود كمت ، عن ملوك
غانة الأوائل :

« وتند بعد زمانهم ومكانهم علينا ولا يتأتى لمؤرخ في هذا اليوم أن يتأتى بصحة
شيء من أمورهم يقطع بها ، ولم يتقدم لهم تاريخ فيصمد عليه » (٢) .

اشتهرت إمبراطورية غانا بهذا الاسم بالنسبة إلى عاصمتها مدينة غانة Ghana أو Ghanate^(٣)، ويقول جوي Gouilly عن مدينة ولاتا Oualata — وهي الواردة في رحلة ابن بطوطة باسم «أيوالاتن» — أنها ليست سوى تحريف لكلمة «غاناتا»، كما ينطقها السود،^(٤) وذلك نقلا عما ذكره ما رمول Marmol في القرن السابع عشر^(٥). والمعروف أن مدينة ولاتا، أنشأها أو عمرها المسلمون الجافلون من أهل غانة، على أثر هجوم الصوصو عليهم (١٢٠٣).

والراجح أن كلمة غانة، كانت أصلا، لقباً، يلقب به ملوك هذه الإمبراطورية^(٦) والملاحظ أن هذه التسمية ليست لها أصول عربية^(٧). يقول البكري: «وغانة سمة لمملوكهم واسم البلد أو كار». ^(٨) ويقول ياقوت: «غانة كلمة أعجمية لا أعرف لها مشاركا من العربية، وهي مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب، متصلة ببلاد السودان»^(٩) وعن القلقشندي: أن بلاد غانة تقع «غربى صوصو، وتجاور البحر المحيط الغربى، وقاعدته — أى قاعدة هذا الإقليم — مدينة غانة، وهي محل سلطان بلاد غانة»^(١٠) وعند المقرئى: ومدينة غانة محل سلطان بلاد غانة^(١١).

وللمؤرخ الغينى جبريل نينان Djibril Nian، تفسير، يلتقى مع الدلالات السابقة لعاصمة «غانا»، قال جبريل فى كتابه عن غانا، تعنى كلمة غانة، بلغة السوننك «القيادة العسكرية»، ثم صارت تعنى العاصمة، مركز القيادة، ثم اتسع المدلول حتى صار يطلق على الإمبراطورية^(١٢).

* * *

أما عن أصول سكان إمبراطورية غانا التاريخية، فهناك أساطير مختلفة حول هذه الأصول، من ذلك ما وضع فى بعض وثائق قبائل الهوسا، أن أهل غانة القدماء، كانوا يسمون أنفسهم التورد أو التوروث Taurud or Towrooth وأنهم جاءوا أصلا من وادى دجلة والفرات، أى أن لهم أصولا آشورية وبابلية قديمة، ومعنى هذا انتابؤهم إلى العنصر الذى يرجع أصل موطنه إلى منطقة جبال طوروس، ووصل ذروة مجده فى التاريخ فى وادى دجلة والفرات^(١٣).

والنسبة إلى الأصول الشرقية أمر مألوف عند كثير من شعوب السودان الأوسط والغربى، وهى الشعوب التى اشتهرت فى التاريخ وكونت لها إمبراطوريات واسعة،

مثل مالى ، وارثة غانة ، وصنغى وارثة مالى ، وكذلك عنداً باطرة برنو وغيرهم (١٤) .

والحق أن أهم القبائل التى تكون أغلب سكان إمبراطورية غانة فى العصور الوسطى ، هى قبائل السونك Soninke وهى من فروع « الماند » الأساسية ، أى من مجموعة الشعوب أو القبائل المتكلمة بلغة « الماند » (١٥) . وتنفرد مجموعة السونك : عن بقية فروع الماند الأخرى ، بصفات جثمانية خاصة ، وتقاليدها الاجتماعية معينة .

كان السونك يقيمون فى الصحراء ، ثم تركزوا بعد ذلك على حافتها الجنوبية ، فيما اشتهر باسم « الساحل » حيث امتزجوا بالبربر والفولانيين ، وهم زراع مرتبطون بالأرض ، غير أن هذا لم يحل دون عملهم فى التجارة ، ولعل اختلاط السونك بغيرهم من العناصر ولا سيما البربر ، هو الذى غير بعض الشئ فى ألوانهم حتى أن الولوف يطلقون على السونك المقيمين فى حوض السنغال اسم : سيركول أو سراكول Sarakole أو Sere-Kule أو Ser-Koulé وتعنى هذه التسمية عند الولوف : الرجال الحمر أو الناس الحمر Red Men مما يدل على أنهم لم يكونوا صريحيين فى الصفات الزنجية النقية .

تضم مجموعة السونك فروعا مختلفة : اشتهرت بأسماء متنوعة ، تبعاً للأماكن التى قامت بها ، أو تبعاً لأسماء العشائر التى برزت من بينها ، أو بحسب تسمية جيرانهم لهم . فقبائل البامبارا ، وهى فرع من الماندينجو ، تطلق على السونك المقيمين فى منطقة منحنى النيجر ، اسم ماركا Marka أو ماركنك Mark-nke ويعرف السونك المقيمون فى ديا Dya ، غربى ماسنة ، باسم ديا كانك Dyakanke نسبة إلى محل إقامتهم ، ويبدو أن منطقة ديا كانت مركز تجمع للسونك ، ومنه تفرقوا فى شتى الجهات بالسودان الغربى ، بل إن هذه التسمية ، ديا كانك ، أطلقت على المستعمرات التى استقروا فيها فى أعلى نهر غمبيا وفى فوتاجالون .

وكذلك يعرف السونك عند المغاربة باسم « أسوانك » Aswanik ، واشتهرت هذه التسمية على فريق من السونك يقيم جنوبى نهر النيجر ، ونسب المقيمون منهم فى مدينة طوبى Tuba إليها ، وهذه تسمية عربية إسلامية ، انتقلت إلى غربى أفريقية ولذلك فهم يعرفون باسم الطوباكى Tubaki . وفى مدينة جنى ، اشتهر السونك باسم « نونو » نسبة إلى اسم أول عشيرة سونكية هاجرت إلى

جنى . أما المجموعات القليلة التي بقيت في الصحراء ، فاشتهرت باسم «الأزير» Azer هذا ، وقد استعمل الفولانيون والهوسا والصنغى ، تسميات أخرى ، أطلقتها على السونتك وهي : أنجرا أو وتقاره^(١٦) أو وعكري^(١٧) Wangara-Wangarabe Ungara-Wankere-Wakore وكانت هذه المجموعة قد هاجرت فيما بعد إلى بلاد الهوسا ، وتدعى أنها من أصل فارسي ، واشتهرت المنطقة التي أقامت فيها بهذه التسمية « وتقاره » ، والمعروف أن هذا المصطلح يطلق كذلك على الماندنغو ، كما عرفت به منطقة مناجم الذهب .

أما مجموعة الدياوارا Dyawara التي استقرت في منطقة كنجى Kingi ، وهي أصلا من منطقة ديا Dya ، فبالرغم من لغتها السوننكية ، إلا أنها تختلف من الناحية التاريخية ، عن بقية المجموعات السوننكية ، كما أن مستعمرات هذه المجموعة المتفرقة في جيديمابا Gidimaba وكيز Kayes وبافولاب Bafulabe وغيرها ، تتكلم بلغة القبائل التي أقامت بينها واختلطت بها .

ومن أشهر أقسام السونتك الرئيسية ، كما يقول بنجر Binger تسعة ، هي :

١ — السسيون Sissé

٢ — آل بكر Bakaré

٣ — السليون Sillé

٤ — الديابي Diabi

٥ — الساخو Sakho

٦ — الكابا Kaba

٧ — الدوكورى Doukouré

٨ — النياخاتي Niakhate

٩ — الدياورا Diaoura وهؤلاء الآخرون ، ينقسمون بدورهم إلى فرعين

هما : الساجوى Sagoué والدابو Dabo .

والراجع أن هذه الأقسام : عبارة عن العشائر الكبرى أو الأسرة الكبيرة التي اشتهرت بين السوننك ، بدليل أن الحكومة السوننكية الوطنية ، كان ملوكها من آل سيسي (١٨) .

وهناك أقسام أخرى ثانوية أو فرعية ، منها : الجاساما Gassama والثابوري Tabouré والدياخابا Diakhaba والفسورو Fissourou والفاديجا Fadiga والدافي Dafé والبيريق Bérété (١٩) الخ .

* * *

وأول حكومة قامت في غانة ، حكومة من البيض ، يقال إنها رجع إلى حوالي القرن الأول الميلادي ، ثم صارت ذات بأس وسطوة خلال القرن الرابع الميلادي ، والمتواتر في بعض المصادر أن جماعة من المهاجرين البيض الساميين ، جاءت من الشرق ، أو من شمالي أفريقيا ، ومن برقة بصفة خاصة ، واستقرت هذه الجماعة في منطقة أوكار Awkar أو Aoukar (٢٠) وسط مجموعة من الزنوج تتكلم لغة الماندي ، وأغلب هذه المجموعة من السوننك . كان نزوح هذه الجماعة أقرب إلى الهجرة السلمية منها إلى الغزو المسلح ، واختلطت هذه الجماعة بالوطنيين من السوننك ، حتى تغير لونها بطول الزمن ، وأخذت لغة الوطنيين (٢١) .

وفي وقت ما خلال القرن الرابع الميلادي ، استطاع هؤلاء البيض أن يسيطروا نفوذهم على الوطنيين الذين عاشوا بينهم ، وظهر بين البيض زعيم قوى اسمه « كارا » استطاع أن يؤسس دولة نواتها منطقتا كارا Kara وحوض Hodh ويطلق المغاربة اسم أوكار ليشمل حوض كذلك وظلت سلالته تحكم هذه الدولة حتى قرب نهاية القرن الثامن الميلادي .

يقول دلافوس Delafosse وسبيتز Spitz أن هؤلاء البيض من اليهود السوريين الذين كانوا يقيمون في برقة ، وأنهم هم الذين أسسوا حكومة غانة الأولى (٢٢) وعن السعودي أن حكام غانة الأول جاءوا إليها من الحبشة ، وهم من جنس به دماء عربية (٢٤) .

والحق أن حكام غانة الأول من البيض ، يقول السعدي : « وهم ييضان

في الأصل» (٢٥) غير أن الشك حول أصولهم الغامضة ، هل هم من اليهود أم من البربر ؛ ويقول السعدى : « ولا نعلم أصلهم » ، والراجح أنهم من البربر ، الذين اختلطوا بالزنج . وصلة قبائل البربر ببلاد السودان قديمة ، ثم أن أهل غانة أنفسهم يقولون ، إن أسرة بربرية كان تحكم في بلادهم منذ زمن بعيد ؛ ويقول بومان Baumann بأن مؤسس حكومة غانة الأول هم : البيض الأفريقيون من البول أو من البربر الليبيين (٢٦) ، ويقول محمود كمت : « واختلف أى قبيلة هم كانوا منها ، قيل من وعكرى (٢٧) ، وقيل من ونكر (٢٨) ، وهو ضعيف لا يصح ، وقيل من الصنهاجة ، وهو أقرب عندى ، لأنهم يقولون فى نسبهم أسكع . وهو حم فى اصطلاح سودان لقباً ، والأصح أنهم ليسوا من السودانيين والله أعلم ، وقد بعد زمانهم (٢٩) . . » والخلاصة أن حكومة غانة الأولى من البيض ، وأنهما من البربر ولها أصول شرقية .

والتواتر عن عدد ملوك هذه الأسرة التى حكمت غانة : أنه بلغ نحو ٤٤ ملكاً ، يقول السعدى : « وأول سلطان فى تلك الجهة هو قيمع ، ودار إمارته غانة ، وهى مدينة عظيمة فى أرض باغن (٣٠) ، قيل إن سلطنتهم كانت قبل البعثة ، وتلك ٣٣ ملكاً ، وبعد البعثة ملكها (٣٢) ملكاً ، وهم يبيضان فى الأصل ، ولا نعلم أصلهم ، وخدامهم عكريون » (٣١) .

على أن هذا الرقم ليس دقيقاً بدليل أن صاحب الفتاش ، ذكر ، أن من حكم من هؤلاء الملوك قبل البعثة النبوية ، بلغ عددهم نحو ٣٠ ملكاً (٣٢) . وقد أوضح صاحب الفتاش كذلك أن كيمع ، كما ضبطه بفتح الكاف والياء والميم والغين ليس اسماً ، وإنما هو لقب . يقول : « وكيمع فى لغة وعكرى ملك الذهب » (٣٣) .

وأورد صاحب الفتاش اسم ملك ، كان يعاصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى القرن الأول الهجرى والسابع الميلادى ، وهو كنسمى ، كما ضبطه . قال : « وحدثنى بعض السلف أن آخرهم كنسمى . . وهو الملك فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٣٤) .

الخلاصة : لم يعرف ، حتى الآن ، فيما أعلم ، من ملوك الحكومة الأولى ، التى

قامت في غانة سوى ثلاثة أسماء أو اسمين ولقب ، هي : كيمغ أو كيمع وكارا
وكنسمى (بفتح الكا وكسر النون وفتح السين والعين وسكون الياء) .

١ — (كيمع) كان يحكم في وقت ما قبل القرن الرابع الميلادي .

٢ — كارا حكم خلال القرن الرابع الميلادي .

٣ — كنسمى كان يحكم خلال القرن السابع الميلادي .

وقد ظل ملوك هذه الحكومة يحكمون إمبراطورية غانة حتى قرب نهاية القرن
الثامن الميلادي (٣٥) .

اتسع نفوذ هذه الحكومة ، حتى صار يشمل المساحات الممتدة بين أعالي نهر
السنغال وأعلى نهر النيجر ، وذكر سبيتز Spitz أن إمبراطورية غانة زمن هذه
الحكومة كانت زراعية إقطاعية (٣٦) ، غير أن هذا لم يحل دون اشتغالها بالتجارة
واستخراج الذهب ، إذ أن عظمة غانة التاريخية قامت على ثروتها من الذهب والتبادل
التجاري وأن ملوكها قد بلغوا من القوة والثراء ، بحيث صاروا يلقبون بملوك الذهب ،
كما صارت بلادهم تعرف بأرض الذهب (٣٧) .

ولقد أفاض صاحب الفتاش في وصف قوة غانة وسعة نفوذها وعظمة ملوكها
وأورد أخباراً عن الملك كنسمى ، المعاصر للرسول (صلمع) ، هي أقرب إلى الأساطير
منها إلى الحقيقة ، إلا أنها تصور ، على أية حال ، عظمة ملوك هذه الدولة ، ومدى
ما كانوا عليه من ثراء وقوة ، فهو يقول ، مثلاً :

« إن له ألف خيل مربوطين في داره ، عادة معروفة ، إن مات واحد منهم في صبح
جىء بآخر مكانه قبل المساء وفي الليل كذلك ، ولا ينام واحد منهم - أى من الخيل -
إلا على زربية ، ولا يربط إلا بحرير في عنقه وفي رجله ، ولكل منهم آية من النحاس
يول فيها ؛ لا يقطر من بوله على الأرض قطرة ، إلا في الإناء ، لا في ليل ولا في نهار ؛
ولا ترى زبلا واحداً تحت واحد منهم ولكل واحد منهم من الخدم ثلاثة أنفس ،
يجلسون تحته ، واحد منهم يقوم بلفه ، وواحد منهم يسقيه ، وواحد منهم موكل على
رصد بوله وحمل زبله » (٣٨) .

وحوالى نهاية القرن الثامن الميلادى ، قامت أسرة من السونتك ، وهى أسرة سيسى Sissés أو Sosse ، ونجحت فى طرد أسرة البيض الحاكمة ، أو دولة كيجم ، وكانت هذه الأسرة الجديدة تتحكم فى منطقة وجادو Wagadou (٣٩) .

ويحتمل أن أول ملوك الحكومة السونتكية لم يكن من آل سيسى الذين اشتهر أمرهم ، وإنما كان من آل وكورى، وإن آل سيسى أزالوا حكم هذه الأسرة السونتكية المنافسة وحلوا مكانها ، فقد ورد أن الملك بنتجوى Bentigui Doukouré كان يحكم حوالى عام ٧٩٠ م .

وصور صاحب الفتاش نهاية الحكومة الأولى بقوله :

« ثم أفنى الله ملكهم ، وسلط أراذلهم على كبرائهم من قومهم واستئصلهم وقتلوا جميع أولاد ملوكهم ، حتى يبقروا بطون نساءهم ويخرجوا الجنين ويقتلونهم » (٤٠) .

ظلت الأسرة السونتكية الجديدة تحكم إمبراطورية غانة حتى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى باستثناء الفترة التى استولى خلالها المرابطون على عاصمة غانة من عام ١٠٨٦ — ١٠٨٧ م (٤١) وفى عهد هذه الأسرة بلغت إمبراطورية غانة ذروة مجدها وعظمتها واتساعها . كما اشتهرت بثوراتها وقوتها . أما أعضاء الأسرة الهاربة . فقد اتجهوا مع أنصارهم إلى بلاد تسكروور . حيث اختلطوا بالتكررة . ويقال إن هؤلاء البيض الهاربين لم يهودوا أيضاً . كما كانوا فى الأصل . إذ تغيرت ألوانهم حتى صاروا أشبه بالزنوج . نجحوا فى التحكم السياسى فى منطقة تكرو . وظلوا أصحاب النفوذ حتى القرن الحادى عشر . عندما هب التكررة . وطردها هؤلاء المعتصين . ويقول بعض الكتاب إن هؤلاء البيض هم الذين اشتهروا فيما بعد باسم الفولانيين (٤٢) .

وليس من المعروف من ملوك الحكومة السونتكية سوى خمسة أسماء هى : بنتجوى وتكلان وبلوتان وبسى ومن بعده تنكامين Tenkamenin وهو ابن أخت بيسى . وكان تنكامين يعاصر البكرى (١٠٩٤ م) وولى هذا الملك عرش غانة حوالى عام ١٠٦٣/هـ ١٠٦٣ م أى قبيل فتح المرابطين لغانة بقليل (٤٣) .

١ — بنتجوى دو كورى كان يحكم حوالى عام ٧٩٠ م .

٢ — تكلان Tiklan . كان يحكم حوالى مطلع القرن التاسع الميلادى .

٣ — تلوتان أو بولاتان Tloutan or Boulatan وهو ابن السابق كان يحكم حوالى عام ٨٣٧ م .

٤ — بى Beci توفى حوالى عام ١٠٦٣ م .

٥ — تسكامين وهو ابن أخت السابق ، ولى عرش غانة حوالى عام ١٠٦٣ م .

* * *

والظاهر أن لقب « كيمع » أى ملك الذهب ، ظل يطلق على جميع ملوك غانة ، سواء أكانوا من الحكام البيض الأول ، أو من حكام السونك السود ، الذين حكموا منذ نهاية القرن الثانى الميلادى ، بدليل ما ذكره صاحب الفتاش ، من أن سلطنة مالى لم يستقم أمرها إلا بعد اقراض دولة كيمع ، والواضح تاريخياً أن زوال إمبراطورية غانة كان فى مطلع القرن الثالث عشر على يد الصوصو .

ولعل شمول هذا اللقب لجميع ملوك غانة ، هو الذى جعل بعض كتاب الغرب يخلطون ، أمثال ج. يفر G. Yver ودى بدرال De Pedrals ، فجعلوا كيمع أول ملوك حكومة السونك الزنوج من آل سيسى ، وهى التى ورثت السلطة فى غانة بعد حكومة البعوض الأولى ، مع أن الفع محمود كمت يقول إن « كيمع من الملوك الأوائل وقد قضى منهم عشرون ملكاً قبل ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٤٤) . ويقول السعدى : « وأول سلطان فى تلك الجهة هو كيمع ودار إماراته غانة » (٤٥) .

والخلاصة أن لقب ملك الذهب أو قيمع ، أطلق على جميع حكام غانة ، أرض الذهب منذ عهد الحكومة الأولى حتى اختفاء غانة من التاريخ فى القرن الثالث عشر الميلادى .

كان حكام غانة الجدد أقوى من أسلافهم البيض (٤٦) إذ عملوا على توسيع حدود ملكهم ، وفى عهد هذه الأسرة ، استولت غانة على أودغست (٤٧) ، وهى عاصمة إمبراطورية إسلامية سادتها من البربر من قبيلة لتونة ، وقد تم فتح أودغست حوالى عام ٩٩٠ م ، ووضع حكام غانة عليها حاكماً سونكياً أسوداً ، وربما اتخذها ملك غانة محل إقامة له فى بعض الأوقات ؛ ومنذ ذلك التاريخ ، أصبحت أودغست خاضعة

لغة وتُدفع لها الجزية ، حتى منتصف القرن الحادى عشر تقريباً ؛ وكان خضوعها لسادة غانة ، من بين الأسباب التى دفعت المرابطين فيما بعد إلى مداومتها وعقابها جزاء هذا الخضوع (٤٨) .

ومن البلاد الهامة التى خضعت لإمبراطورية غانة ، مدينة ولاته وأنباره وكوغه والوكن وسامة ؛ ويصف البكرى أهل سامة ، بقوله : « إنهم يسمون بالبكم ، ولهم حذق بالرماية يرمون بالسهم المسمومة ، ويورثون الإبن الأكبر مال الأب كله » (٤٩) .

بلغت إمبراطورية غانة ذروة قوتها واتساعها خلال الفترة من القرن العاشر الميلادى إلى قرب أواخر القرن الحادى عشر ، وشملت من الأقاليم الهامة ، بجانب أوكار وهوذ ، باسيكورو Bassikuru ووجادو فى الشرق وديارا Diara فى الغرب وكانياجا Kaniaga موطن الصوصو ، فى الجنوب الشرقى (٥٠) والواقع أن مدى اتساع إمبراطورية غانة ، ليس معروفاً بالضبط ، ولكن المحقق أن نفوذها كان واسعاً ، بحيث أنها كانت صاحبة السيادة والنفوذ فى جميع المساحات الواقعة بين النيجر والمحيط الأطلسى ، وصارت أعظم قوة سياسية فى السودان الغربى ، ويمكن القول بصفة عامة ، أنها امتدت من ناحية الشمال ، وخضع لها أغلب قبائل الصحراء الجنوبية ، وربما وصلت غزواتها إلى منطقة أدرار وامتدت من ناحية الغرب إلى أعلى السنغال وفرعه باول Bawle وحدود ملكة الشكاررة ، ومن الشرق إلى قرب تمبكتو ، وجنوباً بغرب إلى أعلى النيجر وأعلى السنغال ومنطقة الذهب فى ونقارة ، لكنها لم تتحكم فى ونقارة نفسها ؛ وهناك احتمال بأنها امتدت فى بعض الأحيان إلى المشارف الشمالية لجمهورية غانة الحديثة ، وهى التى كانت معروفة من قبل باسم مستعمرة ساحل الذهب وإلى أطراف منطقة الغابات الاستوائية ، بحيث اقتربت من مواطن الوثنيين المعروفين فى الكتب العربية باسم « الكفار اللعمية » Iem Iem كما يقول الإدريسى (٥١) وعن السعوى : « وتحت يد ملك غانة عدة ملوك وممالك » (٥٢) .

وحسبنا ما يقوله الفخ محمد كمت عن قوة ونفوذ إمبراطورية غانة وسعة أملاكها ، فقد نذكر أن إمبراطورية مالى — واردة غانة — لم يستقم أمرها « إلا

بعد انقراض دولة كيـع سلطان الغرب كله بلا استثناء مكان ما منه . و سلطان مل
من عبيده وخدمه ووزرائه » (٥٣) .

* * *

أما عاصمة هذه الإمبراطورية فقد ازدهرت زمن حكومة السونك الوطنية
إلا أن تأسيسها يرجع إلى عهد حكومة البيض الأولى ، ويقال إنها بنيت حوالى
عام ٣٠٠ م (٥٤) ، وظلت تنمو بالتدريج ، ونظراً لتقدم الإسلام فى بلاد غانة (٥٥) فإن
حيّاً إسلامياً قام بعاصمة غانة حتى صار مدينة كبرى قائمة بذاتها ، وحسبنا الأوصاف
الدقيقة التى أوردها الكتاب العرب المسلمون عن هذه المدينة وأقسامها . .
يقول البكرى :

«ومدينة غانة مدينتان سهليتان ، إحداها المدينة التى يسكنها المسلمون ، ومدينة
الملك على ستة أميال من هذه وتسمى بالغابة (٥٦) والساكن بينهما متصلة ، ومبانيهم
من الحجارة وخشب السنط ، وللملك قصر وقباب ، وقد أحاط بذلك كله حائط
كالسور . وحول مدينة الملك قباب وغابات . . يسكن فيها سحرتهم ، وهم الذين
يقيمون دينهم ، وفيها دكا كيرهم — الدكور هو الصنم — وقبور ملوكهم . وتلك
الغابات حرس ، ولا يمكن أحد دخولها ولا معرفة ما فيها ، وهناك سجون الملك ،
فإذا سجن فيها أحد انقطع عن الناس خبرة» (٥٧) .

وتشبه هذه الغابة ما عرف عند الجرمان الأولين باسم الغابة المقدسة (٥٨) وعن
الإدريسى : « غانة مدينتان على ضفتى البحر الحلو ، وهى أكبر بلاد السودان
قطراً ، وأكثرها خلقاً وأوسمها متجراً » (٥٩) ، ويقول فى موضع آخر : « ولهم
— أى سكان العاصمة — زوارق يتصيدون فيها ويتصرفون بين المدينتين بها » (٦٠) .

وعن ابن الوردى :

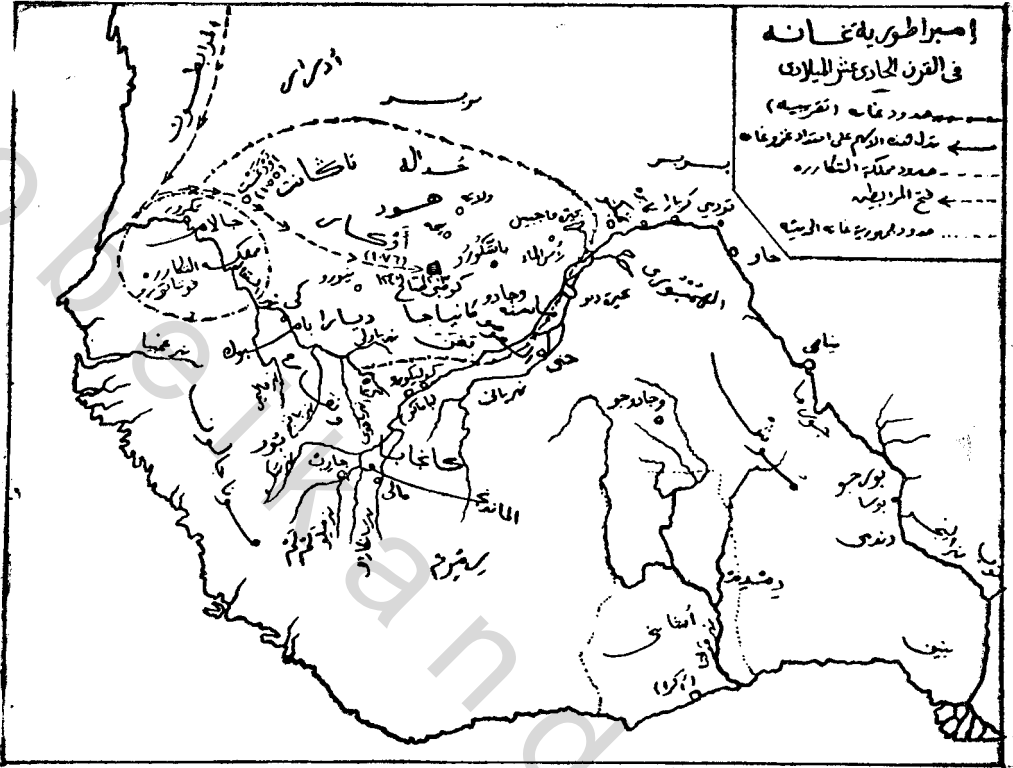
« هى مدينتان على ضفتى النيل ، ويقصدها التجار من سائر البلاد » (٦١) ويقول
القلقشندى « إنهما مدينتان على ضفتى نيلها ، إحداها يسكنه المسلمون ، والثانية يسكنها
الكفار » (٦٢) . وعن القرزى « وغانة مدينتان : إحداها يسكنه المسلمون
والأخرى الكفار » (٦٣) .

* * *

إمبراطورية غانا

في القرن الحادي عشر الميلادي

- حدود مملكة غانا (تقريبية)
- مملكة الهمبوري
- مملكة النكاره
- مملكة الراجيه
- حدود مملكة غانا الحديثة



وموقع مدينة غانا القديمة ، موضع تقاش وجدل ، ولكن أطلالها ، تقع اليوم بالقرب من الحدود الجنوبية لجمهورية موريتانيا الحديثة ، وتقع ضمن أراضي جمهورية مالي الحديثة . لقد أخطأ ليو الافريقي حين قال ، إن غانا هي نفس مدينة «كانو» الواقعة في شمالي بلاد الهوساء بنحو ٢٠٠ ميل (٦٤) وظل هذا الخطأ شائماً عند الأوربيين حتى ظهر كتاب كولي Cooley عام ١٨٤١ ، وأوضح بدقة موضع غانا في مكان ما جهة الغرب (٦٥) وهي على طريق القوافل العربي القادم من مراکش ، والمكان الصحيح يبعد عن تمبكتو بمسيرة بضعة أيام إلى الجنوب الغربي من تمبكتو وعلى بعد نحو ألف ميل شمالي جمهورية غانا الحديثة ، ونحو ٢٠٠ ميل شمالي باماكو عاصمة جمهورية مالي الحديثة (٦٦) .

قامت حفائر للبحث عن آثار هذه المدينة ، التي كانت خلال القرن العاشر

والحادى عشر الميلاديين أعظم مدن السودان العربى كما كانت سوقاً عظيمة بين بلاد البيض وبلاد السودان ، فضلاً عن أنها ملتقى طرق القوافل » (٦٧) .

بدأت هذه الحفائر عام ١٩٠٧ م على يد العالم الأثرى الفرنسى دبلاج فمتر على أطلال مدينة تدل على أنها كانت مزدهرة ، وقال : إن هذه هى أطلال غانة ، وأنها كانت تقع على جانبى بحيرة صغيرة ، وحدد مكانها على بعد نحو مائتى ميل غربى مدينة جنى ونحو ٤٠ ميلاً شمال شرقى مدينة كولييكورو ، الواقعة شمالى باماكو (٦٨) .

وفى عام ١٩١٤ قام حاكم فرنسى لإحدى المقاطعات وإسمه بونل ميزير وحفر فى موقع فى المنطقة المشهورة باسم « الساحل » جنوبى الصحراء الكبرى ، واقتنع بأن هذا الموقع يحتمل أن يكون مكان عاصمة غانة ، التى وصفها البكرى . استمر الحفر فى هذا الموقع المعروف باسم « كومبى صالح » وحدد بعده عن باماكو بنحو ٢٠٥ ميلاً (٦٩) وقد ساهم المعهد الفرنسى لأفريقيا السوداء بدار IFAN فى هذه الحفريات (٧٠) .

تجدد الحفر عام ١٩٣٩ ، ولم يقف إلا عندما اندلعت نيران الحرب العالمية الثانية ، وبعد عشر سنوات ، قام توماس ومونى MAUNY (١٩٤٩ — ١٩٥٠) بأعام العمل ، وخلصا ما عثرا عليه من آثار ، على ضوء المعلومات التى تجمعت لهما (٧١) .

أوضح هذان الباحثان ، فى عام ١٩٥١ ، أن الآثار التى عثرا عليها ، ليست سوى بقايا المدينة الإسلامية أو القسم الإسلامى من مدينة غانة ، ودلت هذه الآثار على أن هذه المدينة كانت زاهرة ، وتشغل نحو ميل مربع من الأرض ، وسكنها ما لا يقل عن ٣٠ ألف نسمة ، وهو عدد ضخم بالنسبة لسكان مدن العالم المعروفة يومئذ (٧٢) .

والراجع أن هذه المدينة الإسلامية كانت مركز الحكومة الإسلامية التى قامت فى غانة فى عهدها الأخير ، أى عندما صار ملوك غانة على الإسلام (٧٣) وتشبه هذه المدينة الصنهاجية حالياً والمعروفة باسم سالونجارى الواقعة قرب مدينة كانو (٧٤) .

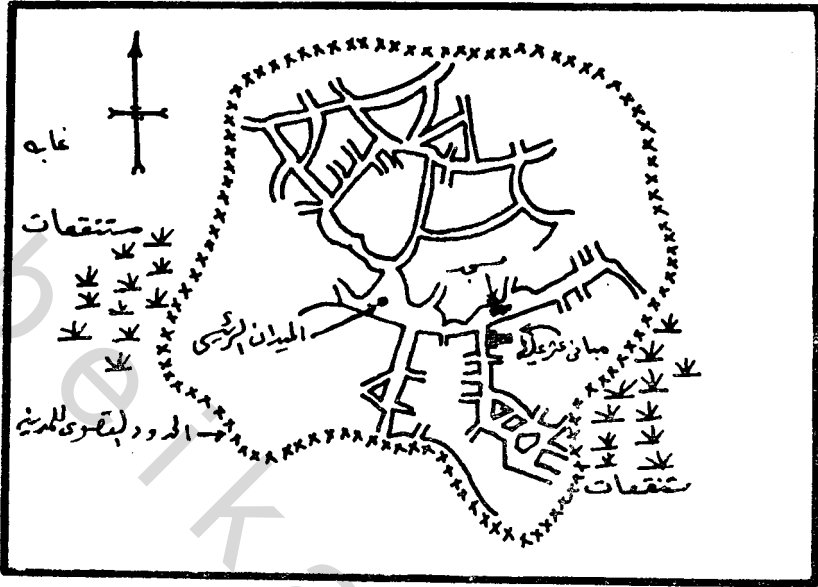
كشفت الحفريات عن عدد من المنازل والمساجد ، ومن بين ما كشفه توماس ، مؤسستان أو مبنيان كبيران ، يحتمل أن أحدهما كان يبلغ في الطول نحو ٦٦ قدماً وأن عرضه أو اتساعه بلغ نحو ٤٢ قدماً ، وبه سبع غرف مفتوحة داخل بعضها البعض ، وأن هذا المبنى كان يتكون من طابقين بينهما سلم . أما المبنى الآخر فهو أكبر من الأول ، وكان يضم تسع غرف ، ولا تزال على جدرانه الداخلية بقايا الطلاء الأصفر (٧٥) .

ولم يعثر على شيء من الذهب أو الفضة ، ولكن عثر على مخزن كبير به أدوات مصنوعة من الحديد ، وقد علق موني على هذه المكتشفات بأنها دليل ناصع على حضارة متقدمة ، مما يدعم مقالة الزهرى عن شدة بأس أهل غانة لأنهم استخدموا الأسلحة الحديدية ، وكان ذلك سبب انتصارهم على الجيران الذين كانوا يحاربون بقضبان من الأبنوس (٧٦) .

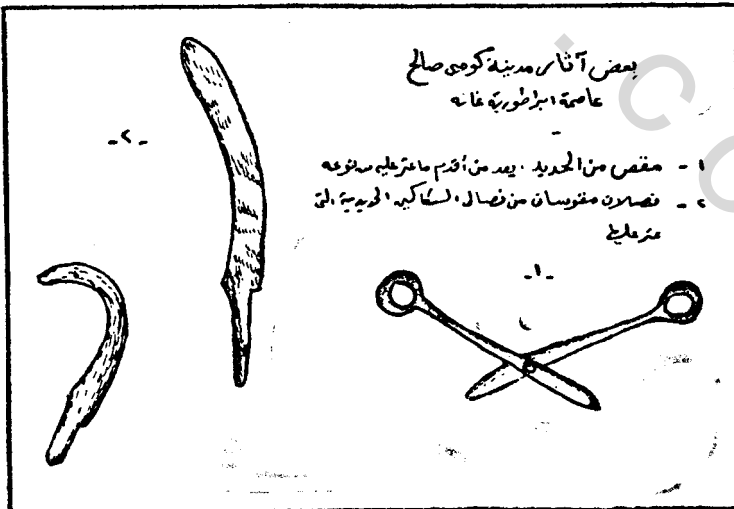
ومما عثر عليه في أطلال كومي صالح ، حراب وسكاكين ورؤوس سهام ومسامير ، ومجموعة مختلفة من الآلات والأدوات الزراعية ، وتعلق مارجریت شيف بأن هذه لا بد وأنها صنعت محلياً (٧٧) كذلك عثر على مقص حديدى دقيق الصنع ، ربما كان من أقدم ما عثر عليه من هذا النوع في أية دولة (٧٨) ووجدوا فضلاً عن ذلك كمية كبيرة من الصنوج الزجاجية ، من الواضح أنها كانت تستخدم في وزن الذهب . وهناك بقايا كثيرة من الأواني الفخارية ، تحمل طابع البحر المتوسط و٧٧ قطعة من الحجر الملون ، منها ٥٣ قطعة أو لوحاً مكتوب عليها بعض آيات القرآن الكريم بالخط العربى ، بينما تضم الألواح الأخرى وعددها ٢٤ لوحاً زخارف ونقوشاً (٧٩) .

وكشف كذلك عن عدد كبير من المقابر ، من بينهما مقابر ملكية ، ومن بين هذه اللوحات شواهد قبور .

ولم يتم الحفر بعد في موقع كومي صالح ، ويمكن القول : إن هذا هو كل ما عثر عليه حتى عام ١٩٦٥ م ، ولم يعثر للآن على شيء من آثار مدينة الغابة الوثنية ، أو القسم الوثنى من مدينة غانة (٨٠) ويبدو أنها اندمجت في المدينة الإسلامية وعفت



مدينة كرمش صالح عاصمة إمارة كرمش غانه
(عن توماس و موني)





شاهد قبر لسيدة عثر عليه في أطلال كومي صالح ، مكتوب باللغة العربية
والعبارة المكتوبة :

« اللهم ارحم
فاطمة الطاهر (هرة)
... بنت سيد
نا محمد ابن
سيد موسى

.....

« »

آثارها الوثنية ، عندما تحولت حكومة غانة الإسلامية منذ نهاية القرن الحادى عشر الميلادى .

* * *

أما عن الإسلام وانتشاره فى السودان الغربى ، فالمعروف أنه بدأ ينتشر منذ حوالى منتصف القرن السابع الميلادى أى بعد فتح مصر وشمالى أفريقية ، ولم يكن المرابطون الذين قاموا بنشر الدعوة الإسلامية فى القرن الحادى عشر الميلادى ، هم الذين أدخلوا الإسلام تلك البلاد لأول مرة ، بل إن حركتهم أدت إلى ازدياد عدد الداخلين فى الإسلام .

فأصلة التجارية والثقافية قديمة منذ الأزمنة السحيقة ، بين بلاد السودان وبلاد البحر المتوسط ، وقد كثرت هجرات المسلمين بعد ظهور الإسلام ، من العرب والبربر إلى بلاد السودان ، وذلك منذ الفتح العربى الإسلامى لمصر وشمالى أفريقية . واحتكر التجار المسلمون عملية الاتصال ببلاد السودان لأسباب دينية وتجارية ، واستقرت أعداد كبيرة منهم فى تلك البلاد .

وهناك جهود إمبراطورية أودغست الإسلامية وتفانى ملوكها فى نشر الإسلام بين الزنوج . بلغت هذه الإمبراطورية ذروة قوتها وعظمتها خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ، وقامت بدور كبير فى الدعوة إلى الإسلام قبل حركة المرابطين .

والمعروف أن أودغست مدينة سونكية الأصل ، ولو أن حكمها من البربر من قبيلة لتونة ؛ جهدت هذه الإمبراطورية فى نشر الإسلام ، جنباً إلى جنب مع تنشيط حركة التجارة بين بلاد السودان وشمالى أفريقيا ، عبر الطرق الصحراوية ؛ والسلمة الهامة المطلوبة لبلاد السودان هى الملح . يقول ابن حوقل :

« وحاجة ملوك السودان إلى ملوك أودغست ماسة من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام » (٨١) وفى موضع آخر يقول :

« وملك أودغست يحاطل ملك غانة » (٨٢) .

ويذكر عن الملك الأودغسق تيبوتان أنه كان شديد التعمس لنشر

الإسلام بين قومه وبين الزنوج المجاورين من ناحية الجنوب (٨٣) . وأن الملك تين بروتان ابن ونسو بن نزار ، الأودغسقي كان قد بلغ من سعة النفوذ وقوة السلطان ما جعله سيداً على أكثر من عشرين من ملوك السودان ، كلهم يؤدون له الجزية (٨٤) وكان هذا الملك يحكم في الفترة ما بين ٩٦١ ، ٩٨١ م .

كل تلك جهود وصلات مباشرة بين المسلمين وبلاد السودان ، لها أثرها لا شك في دخول أعداد كبيرة في الإسلام قبل القرن الحادى عشر .

وفي مطلع القرن الحادى عشر الميلادى ، جاء إسلام ملك التكرور وأرجاني ابن رايس (ت حوالى ٤٣٢ هـ / ١٠٤٠ م) ، عنصراً هاماً في ازدياد انتشار الإسلام وهو صاحب الفضل في إسلام أهل « سلى » (٨٥) من أعمال تكرور ، ويقول البكرى ، أن المسافة بين سلى وبين غانة « عشرون يوماً في عمارة بلاد السودان » (٨٦) .

وليس من شك في أن هذه الصلات المتنوعة ، وهذه الجهود البارزة ، قد أدت إلى انتشار الإسلام في غربى أفريقية ، ولما كانت غانة جزءاً من غربى أفريقية ، فلا ريب أن الإسلام دخلها وانتشر بين بنينا ، بدرجات متفاوتة . لكن لا نستطيع أن نقول إن البلاد كلها . . حكومة وشعباً ، أو حكماً ومحكومين ، قد اعتنقت الإسلام ، أو أن الإسلام صار الدين الرسمى لإمبراطورية غانة .

والراجع أن أعداداً كبيرة من سكان غانة قد اعتنق الإسلام ، وأن مظاهر هذا الدين من الشعائر والمساجد والثقافة واللغة العربية ، قد وجدت طريقها إلى بلاد غانة في زمن مبكر ، قبل المرابطين .

وهناك أكثر من دليل على قدم الإسلام في غانة ؛ فقد ذكر البكرى (ت ١٠٩٤ م) أن بنى أمية أرسلوا جيشاً إسلامياً لفتح بلاد السودان ، في صدر الإسلام ، واستقرت ذرية هذا الجيش في غانة وكما يتضح من مضمون عبارة البكرى أن سلالة هذا الجيش أهملت التمسك بالإسلام ، إلا أن وصول هذه الموجة الإسلامية إلى غانا كان اتصالاً مباشراً في وقت مبكر .

وعبارة البكرى :

« وبيلاذ غانة قوم يسمون بالهنيين ، من ذرية الجيش الذى كان بنو أمية أنقذوه إلى غانة فى صدر الإسلام ، وهم على دين أهل غانة ، إلا أنهم لا ينكحون فى السودان ولا ينكحونهم فهم بيض الألوان حسان الوجوه » (٨٧) .

ويقول القلقشندى عن إسلام أهل غانة : « وكان أهلها أسلموا فى أول الفتح » (٨٨) ؛ ثم إن نحو الحى الإسلامى بعاصمة غانة ، أو المدينة الإسلامية ، ليس من المقول أن تكون قد ظهرت مرة واحدة أو خلال وقت قصير ، بحيث أصبحت تضم إثني عشر مسجداً ، وأنها صارت موطناً لعدد كبير من فقهاء المسلمين وعلمائهم .

يقول البكرى :

« ومدينة غانة مدينتان سهيلتان إحداها المدينة الإسلامية التى يسكنها المسلمون وهى مدينة كبيرة فيها إثنا عشر مسجداً ، إحداها يجمعون فيه — أى يؤدون فيه صلاة الجمعة — ولها الأئمة والمؤذنون ، وفيها فقهاء وحملة علم ، وحواليها آبار عذبة ، منها يشربون وعليها يتململون الخضروات .. » (٨٩) .

ومن الظواهر البارزة فى تاريخ إمبراطورية غانة ، حتى فى عهد الحكومة الوثنية ، أن المسلمين لكثرتهم وأهميتهم وثقافتهم ونشاطهم ، سواء أكانوا من السوننك الوطنيين أو من المستوطنين العرب والبربر ، تمتعوا باحترام واضح من قبل الملوك الوثنيين ، ومجرد نحو القسم الإسلامى فى العاصمة ووجود إثني عشر مسجداً به ، دليل كبير على هذا الاحترام وهذا التسامح ، وأكثر من هذا ، أقام الملك الوثنى مسجداً فى الحى الوثنى من العاصمة وهو « الغابة » لكى يؤدى فيه المسلمون الوافدون عليه ، شعائر دينهم ، يقول البكرى : « وفى مدينة الملك مسجد يصلى فيه من يفد عليه من المسلمين ، على مقربة من مجلس الملك » (٩٠) . ويصف البكرى الملك الغانى تسكانيين بقوله إنه كان « محمود السيرة محباً للعدل ، مؤثراً للمسلمين » (٩١) .

هذا ، وإسلام رعايا غانة قبل حكومتها ، لم يحل دون تولى المسلمين أسمى المناصب فى الحكومة ، وحسبنا ما ذكره البكرى عن كبار رجال حكومة الملك الوثنية .

« وتراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه » (٩٢) .

لكن هذا لا يعنى أن جميع ملوك غانة ، كانوا على الوثنية ، بل هناك رواية دو لارونسيير De La Roncière ومؤداها أن الملك توتان أو بولاتان وهو ابن تكلان اعتنق الإسلام حوالى عام ٨٣٧ م ، وأنه شن حرباً دينية ضد جيرانه الوثنيين (٩٣) .

وإذا صحت هذه الرواية ، فإنها لا تدل على أن ملوك غانة صاروا مسلمين على التعاقب منذ القرن التاسع الميلادى فصاعداً ، بل المحتمل أن قلة منهم أسلمت وأن غالبيتهم ظلت على الوثنية إلى أن جاءت حركة المرابطين (٩٤) .

جاء المرابطون فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر الميلادى ، وقد بدأوا حركتهم فى المشارف الشمالية لبلاد السودان ، باخضاع أودغست عام ١٠٥٥ م ، عقاباً لها على خضوعها لحاكم سوننكى ، واتجهوا بعد ذلك إلى مدينة غانة واستولوا عليها عام ١٠٧٦ م ، وعينوا عليها حاكماً من البربر (٩٥) .

ومنذ ذلك الوقت ، أى من أواخر القرن الحادى عشر الميلادى ، يمكن أن يؤرخ لإمبراطورية غانة الإسلامية ، حتى اختفائها من التاريخ فى مطلع القرن الثالث عشر الميلادى ، فقد أضحت حكومتها إسلامية ، ويقال إن الملك تنكامنين السوننكى كان يحكم غانة عند فتح المرابطين لها ، وأنه قبل الدخول فى الإسلام ، والخضوع لسلطان المرابطين ودفع جزية ، وأنه باسلام هذا الملك دخل عدد كبير من سكان العاصمة وغيرها من المدن فى الإسلام (٩٦) .

والحق ، أن الكثير من سكان إمبراطورية غانة ، قد اعتنق الإسلام قبل القرن الحادى عشر الميلادى ، وأنه منذ فتح المرابطين لعاصمة غانه ، ازداد عدد الداخلين فى الإسلام كما أسلم ملوكها أو أخضع ملوكها مسلمين ، وأصبحت الحكومة إسلامية منذ ذلك الوقت (٩٧) .

ومع أن حركة المرابطين أدت إلى إضعاف غانة سياسياً وأن سيادة المرابطين فى غانة أو تبعية غانة للمرابطين ، لم تستمر طويلاً ، فسرعان ما تخلصت من هذه السيادة على أثر وفاة أبى بكر أمير المرابطين ١٠٨٧ م ، وتفرق كلتهم من بعده (٩٨) إلا أن هذه الحركة كانت بعيدة الأثر فى ازدياد انتشار الإسلام وثقوية العقيدة الإسلامية فى السودان الغربى عامة (٩٩) .

واشتهر أهل غانة ، وأغلبهم من السوننك ، بحباستهم للإسلام ، وبالدور الكبير الذى نهضوا به فى الدعوة إلى الإسلام ، إذ كانت هذه العقيدة ذات أثر عميق فى حياتهم الاجتماعية ، حتى إن بعض العشائر السوننكية ، تكاد تختص بالعمل فى الدعوة إلى الإسلام فقط ، بل إن كلمة « سوننك » فى أعلى نهر غمبيا ، استخدمها الماندنكا الوثنيون مرادفاً لكلمة « داعى » ، مما يدل على الدور الكبير الذى لعبه السوننك فى نشر الإسلام (١٠٠) . ووصف الغرناطى إسلام أهل غانة ومدى محافظتهم على أداء فروض الدين ، بقوله :

« وأهل غانة أحسن السودان سيرة وأجملهم صوراً ، سبط الشعور ، لهم عقول وفهم ، ويحبون إلى مكة » (١٠١) .

ازداد عدد الداخلين فى الإسلام ، واشتهر كثير من المدن الغانية ، غير العاصمة بكثرة من فيها من المسلمين ، من هذه المدن غيارو Ghiarou ، القرية من نهر النيجر الأعلى ، يقول البكرى عنها . « وفيها كثير من المسلمين » (١٠٢) . كذلك مدينة رمنى الواقعة غربى غيارو ، يسكنها المسلمون ، « وما حولها مشركون » على قول صاحب المغرب (١٠٣) .

أما حكومة غانة الإسلامية ، فقد عملت على الاتصال المباشر بالخلافة العباسية فى بغداد وأجبرت رعاياها على لبس العمامة (١٠٤) . كما أن ملوك غانة الإسلامية ادعوا أنهم ينتسبون إلى البيت العلوى .

يقول الإدريسي :

« وهلها — أى أهل غانة — مسلمون ، وملكها فيما يوصف ، من ذرية صالح بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب ، وهو يخطب لنفسه ، لكنه تحت طاعة أمير المؤمنين العباسي (١٠٥) . . وأشار ابن الوردي (١٠٦) إلى إسلام ملك غانة الذى عناه الإدريسي فى مقاله ، ويقول القرزى : « ومدينة غانة محل سلطان غانة ، ويدعى أنه من نسل الحسن بن على ، عليه السلام » (١٠٧) .

والنسبة إلى البيت العلوى أمر مألوف ومشهور عند كثير من ملوك السودان ، فقد ادعاهم ملك مالى وارث غانة (١٠٨) كما أدعى ملوك برنو أنهم من سلالة سيف بن

والمعروف أن الملك السونتي تنكامين الذى ولى عرش غانة حوالى عام ١٠٦٣ هـ / ١٠٦٣ م ، كان قد ورث الملك عن خاله بى Beci (١١٢) .

وعلى البكرى هذه الظاهرة ، بتوفر اليقين فى أن الوليد هو ابن أمه ، وهذا صحيح لكن من المعروف أيضاً ، أن لهذه الظاهرة أصولاً ترجع إلى التقاليد الوثنية القديمة ، وهى التى تولى من شأن المرأة عند أغلب القبائل الأفريقية الوثنية ، وبرزت عند السونتك ، وهؤلاء ، كما سبق ، فرع من الماندنجو ، والتقليد عام عند الأصول والفروع ؛ كذلك عرفت هذه الظاهرة عند قبائل البربر ولا سيما الطوارق ، وصلة هؤلاء ببلاد السودان ، ترجع إلى أزمنة موزلة فى القدم (١١٣) .

وقد أضعف الإسلام ظاهرة التوريث لابن الأخت ، وابن البنت ولكنه لم يقض عليها قضاءً تاماً فى جميع الإمبراطوريات والممالك الإسلامية التى قامت بالسودان العربى والأوسط ، بدليل بقائها فى بعض الممالك الإسلامية بالسودان الغربى وقد شهدا ابن بطوطة فى القرن الرابع عشر فى مدينة تسكده ، فلم تعجبه وعلق عليها بقوله : « وذلك شئ ما رأيت فى الدنيا إلا عند كفار بلاد طليارالهند ، وأما هؤلاء فهم مسلمون محافظون » (١١٤) .

وحدث شبيه هذا فى إمبراطورية مالى عندما انتقل العرش إلى ابن البنت ، وعلق القلقشندى على ذلك بقوله ، بأن هذا العمل جاء « على قاعدة العجم فى تملك البنت وابن البنت » (١١٥) .

أما مكانة المرأة ، فلم تنحط بالإسلام ، وإنما نظمت ، وظلت منزلتها الرفيعة كما هى ، بدليل انتساب أعظم سلاطين مالى إلى أمهاتهم مش كنكن موسى (ت حوالى ١٣٣٧ م) الذى نسب إلى أمه نانا كانجو (١١٧) وكذلك الشأن فى إمبراطورية بورنو مثل المائى إدريس بن حفصة I. Hafeami ت ١٣٧٦ م والمائى داود بن فاطمة D. Fatimami (ت حوالى ١٣٨٦ م) (١١٨) وهكذا .

وكان ملك غانة ينظر فى جميع شئون الإمبراطورية ، مهما كانت صحته ومقدرته ولياقته ، وأورد البكرى خبراً عن الملك بى الذى أورش عرشه لابن أخته ، مؤداه أنه ولى العرش وهو ابن ٨٥ سنة وأن بصره قد كف فى أواخر أيامه ، فكان يكتفم ذلك عن أهل مملكته « ويريهم أنه يبصر وتوضع بين يديه أشياء فيقول هذا حسن

وهذا قبيح ، وكان وزراؤه يلبسون ذلك الناس » (١١٩) .

وأما الحكم المحلي ، فكانت الإمبراطورية مقسمة إلى ولايات أو ممالك ، يقول ابن الوردي : كان للملك غانة « ممالك عديدة فيها ملوك من تحت يده » (١٢٠) وكما كان للعاصمة وال أو حاكم كان لكل من الولايات أو الممالك الخاضعة لها ، حاكم أو ملك ؛ ومن أشهر الولايات ، أوكار وهي نواة إمبراطورية غانة ، وكذلك هوذ ، في الوسط ، والممالك البربرية في الشمال ، وديارا وتا كانت (١٢١) في الغرب وباسيكورو في الشرق وواجاد وكانياجا وبغن (١٢٢) في الجنوب والجنوب الشرقي .

ومع أن نظام الحكم يقوم على أساس المركزية ، إلا أن بعض المقاطعات أو الولايات ، كان الحكم فيها وراثياً في أسر معينة ، حتى إذا أحست هذه الولايات بضعف في السلطة المركزية بالعاصمة ، ثارت واستقلت ، كما حدث عند دخول المرابطين ، غانة عام ١٠٧٦ م ، إذ استقلت كل من ديارا وكانياجا وجالام ، ولم يعد نفوذ السوننك باقياً إلا في أوكار وباسيكورو (١٢٤) .

وكبار موظفي الملك ومستشاريه ووزرائه من المسلمين حتى في العهد الوثني ، إذ كان المسلمون أكبر طبقة مثقفة سواء من الوطنيين السوننك ، أو ممن هاجر من العرب والبربر واستقر في غانة (١٢٥) وشجع على ذلك نشاط التجارة وازدهارها وتوفر فرص العمل في حكومة غانا ، فضلاً عن توفر الأمن لمدة تقرب من قرنين ، فقد كان لإمبراطورية غانة فرق من الحرس تجوب الصحراء (١٢٦) ولهذا أكبر الأثر في نمو المدينة الإسلامية وازدهارها بالصفوة من العلماء والمثقفين ، وقيام المدارس العربية الإسلامية فيها (١٢٧) .

ومن تقاليد الحكم في إمبراطورية غانة ، تلك المجالس التي يعقدها الملك للنظر بنفسه في المظالم ، سواء أكان ذلك في العهد الوثني أم في العهد الإسلامي ، وواضح فيها الأثر الشرقي ، ويصف البكرى هيئة جلوس الملك للنظر في المظالم ، ويقول :

« وهو — أى ملك غانة الوثني — يجلس للناس والمظالم في قبة ، وحوله عشرة أفراس بثياب مذهبة ووراءه عشرة من القلمان ، يحملون الحجب (١٢٩) ، والسيوف المحلاة بالذهب ، وعن يمينه أولاد ملوك بلده — أى ملوك الأقاليم والولايات الخاضعة له — قد ضفروا رؤوسهم على الذهب ، وعليهم الثياب الرفيعة ، ووالى المدينة — أى حاكم أو محافظ العاصمة — بين يدي الملك جالس على الأرض ، وحواليه الوزراء جلوساً على الأرض ، وعلى باب القبة كلاب منسوبة — أى أصيلة — لا تكاد تفارق موضع الملك تحرسه ، في أعناقها سواجير (١٣٠) الذهب والفضة ، يكون في الساجور عدد رمانات ذهب وفضة ، وهم ينذرون بجلوسه بطل يقال له دبا (١٣١) ، وهو خشبة طويلة منقورة ، فيجتمع الناس » (١٣٢) .

ومن التقاليد في مواكب الملك أن بعض الحيوانات كانت تتقدم هذه المواكب مثل : « القيلة والزرايف وضروب من الوحوش التي في بلاد السودان » كما يقول الإدريسي (١٣٣) .

ويصف الإدريسي هيئة ركوب الملك المسلم للنظر في المظالم . فيقول : « وهو أعدل الناس فيها يحكى عنه ، ومن سيرته ، قربه من الناس وعدله فيهم ، له جملة قواد يركبون إلى قصره كل يوم ، ولكل قائد منهم طبل يضرب على رأسه ، فإذا اجتمع إليه جميع قواده ، ركب وسار يقدمهم ويعشى في أزقة المدينة ودوائر البلد ، فمن كانت له مظلة أو نابه أمر ، تصدى له ، فلا يزال حاضراً بين يديه حتى يقضى مظلمته ، ثم يرجع إلى قصره ، ويتفرق قواده ، فإذا كان بعد العصر ، وسكن حر الشمس ، ركب مرة ثانية ، وخرج وحوله أجناده فلا يقدر واحد على قربه ، ولا على الوصول إليه ، وركوبه في كل يوم مرتين سيرة معلومة » (١٣٤) .

وقد أشار الإدريسي بهذا الوصف ، إلى ملك كان يحكم خلال القرن الثاني عشر الميلادي ، وهو صاحب القصر الذي يؤرخ لبنائه بعام ٥١٠ هـ — ١١١٦ م (١٣٥) .

ومن ناحية القوة الحربية ، اشتهرت امبراطورية غانة بقوة جيشها وكثرة تعداده ، يقول ابن الوردي : « ولها ملك ضخم في جنود وعدد وعدد » (١٣٦) ويتكون أغلب الجيش الغانى من القبيلة أو العشيرة التى تنتمى إليها الأسرة المالكة (١٣٧) ومع أن خيول غانة ، كما يقول البكرى قصيرة ، إلا أن جيشها عرف بقوة فرسانه (١٣٨).
يقول البكرى :

إذا احتفل ملك غانه ، بنهى جيشه إلى مائتى ألف ، منهم رماة أزيد من أربعين ألف ، وخيل غانه قصار جداً (١٣٩) .

تسلح هذا الجيش بالأسلحة الحديدية ، مما مكّنه من الانتصار على جيران غانه الذين كانوا دونها فى التسليح ، وقد لاحظ الزهرى قبل عام ١١٥٠ م أن سكان غانه قاموا بحملات حربية ضد جيرانهم ، وانتصروا عليهم بفضل أسلحتهم الحديدية من السيوف والحراب والرماح والخنجر فضلا عن القوس والنشاب ، وذلك على حين كان أولئك الجيران يحاربون بقضبان من الأبوس (١٤٠) .

* * *

وعن الحياة الاقتصادية فى امبراطورية غانة ، الثابت أن عظمة غانة التاريخية وشهرتها وثرائها ، إنما ترجع أساساً إلى أرباحها التجارية الطائلة ، يقول ابن الوردي عن غانه وتجارها :

« وهى أكبر بلاد السودان وأوسعها متجراً ، وهم فى سعة من المال ، ويقصدها التجار من سائر البلاد » (١٤١) .

ثم إن موقع إمبراطورية غانة ؛ وموقع عاصمتها كومبي ، على حدود الصحراء الجنوبية ، وفى أقصى شمالى منطقة الزنوج ، قد جعلها حلقة اتصال بين الشمال والجنوب كما أن تحكمها فى طرق القوافل المؤدية إلى مناجم الذهب الكبرى فى جنوبها الغربى ، أفادها وأثرها (١٤٢) .

أضحت مدينة كومبي صالح ، أكبر سوق فى بلاد السودان ، زمن ازدهار إمبراطورية غانه ، وقد استقر فيها عدد كبير من التجار البيض وتحكموا فى التجارة

السودانية ، وأهمها الذهب والرقيق ، وكان من بين التجار عدد كبير من التجار المصريين ، ويقال إن أحد التجار المصريين هو الذى اشترى كتلة الذهب الكبرى التى كان ملوك غانه يحتفظون بها فى قصورهم (١٤٣) .

تاجرت غانه مع جميع المدن الهامة فى شمالى أفريقيا مثل طرابلس وأوجيلا وورقلان وسجلماسة ، واعتبرت المدن الثلاث الأخيرة ثغوراً للصحرَاء الكبرى ، وهى التى أمدت بلاد البحر المتوسط بسلع غانه وفى مقدمتها الذهب (١٤٤)

كانت إمبراطورية غانه تصدر الذهب والرقيق والجلود والعاج والـكولا والصمغ والعسل ، وكذلك القطن والقمح (١٤٥) ، وينسب إلى حكومة غانه الأولى إدخال زراعة القطن وصناعة النسيج فضلاً عن بعض الحيوانات الأليفة ، منها الثيران ذات الأتقاب ، بل إن إمبراطورية غانه فى فجر نموها ، وصفت بأنها إمبراطورية زراعية إقطاعية (١٤٦) . والدورة الزراعية فى غانه اثنتان ؛ يقول البكرى : وهم « زرعون مرتين فى العام على ثرى النيل (١٤٧) ، كذلك عندهم الأبنوس الجيد ؛ ورواية صاحب المغرب « عندهم الأبنوس المجزع الجيد » (١٤٨) .

وتستورد غانه الملح والنحاس الأحمر والفواكه المجففة ، ومن بينها التمر ، وكذلك استوردت الودع والمساج وأدوات الزينة ، وكانت هذه السلع توزع فى جميع أرجاء بلاد السودان ، والمعروف أن صناعة المساج كانت من الصناعات الأساسية فى مدينة سوتا حيث نهضت ونشطت من أجل التجارة مع السودان ، وتوجد مصائد للمرجان عند شواطئها (١٤٩) .

على أن أهم ما صدرته غانه هو الذهب والرقيق ، وأهم ما استوردته هو الملح .

يقول دافيدسون Davidson

« تقع غانه بين مناجم الملح فى الشمال ومناجم الذهب فى الجنوب » (١٥٠) . واشتهرت أودغست بتصدير الملح إلى غانه ، يقول ابن حوقل : « وحاجتهم إلى ملوك أودغست ماسة ، من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام ، فإنه لا قوام لهم إلا به ، بلغ الحمل الملح فى دواخل بلد السودان وأقاصيه ما بين مائتين وثلثمائة دينار » (١٥١) كان هذا الملح يستخرج من مناجم تغازة فى الشمال ، ويحملة التجار

النارية في طريقهم إلى بلاد السودان (١٥٢) وأهم طوائف التجار التي عملت مع غانه تجار سجلماسة ، يقول ياقوت :

« وأهل هذه المدينة — أى سجلماسة — من أغنى الناس وأكثرهم مالا ، لأنها على طريق من يريد غانه التي هي معدن الذهب ، ولأهلها جراءة على دخولها » (١٥٣) .
وعن الغرناطي :

« يحمل التجار إليهم حجارة الملح على الجمال ، من الملح المعدني ، فيخرجون من بلد يقال لها سجلماسة ، آخر بلاد المغرب الأعلى ، فيمشون في رمال كالبحار ويكون معهم الأدلاء ، يهتدون بالنجوم وبالجمال في القفار ويحملون معهم الزاد لسته شهور ، فإذا وصلوا غانه ، باعوا الملح وزنا بوزن الذهب ، وربما باعوه وزنا بوزنين أو أكثر ، على قدر كثرة التجار وقتهم » (١٥٤) .

حصلت غانه على ثروة طائلة من الضرائب التي فرضتها على السلع الداخلة إلى بلادها ، والخارجة منها ، وقد أقامت نظاماً دقيقاً للجهاك (١٥٥) ، وكان للمسلمين في غانه خبرة واسعة بالشؤون المالية ؛ ولذلك استعان بهم ملوك غانه منذ العهد الوثني ، حتى كان منهم من أشرف على الشؤون المالية للحكومة (١٥٦) .

قرر ملك غانه ضريبة قدرها ديناران ذهب على كل حمولة حمار من الملح يدخل بلاده ، وديناران عن كل حمولة تخرج من دياره ، وعبارة البكري :

والمكهم على حمار الملح دينار ذهب في إدخاله البلد وديناران في إخراجهم ، وله على حمل النحاس خمسة مثاقيل (١٥٧) وعن حمل المتاع عشرة مثاقيل (١٥٨) .

وكانت مدينة تكده الواقعة شرقي النيجر ، مشهورة بإنتاج النحاس من مناجمها ، وصدرته إلى جميع بلاد السودان الغربي والأوسط ، وكذلك كانت تصدره إلى مصر (١٥٩) .

وأما تجارة الذهب ، فهي التي كانت مصدر الربح الكبير لامبراطورية غانه ، مع أن غانه لم تسيطر على المناجم الرئيسية للذهب في منطقة ونقاره ، إلا أنها تحكمت في الطريق المؤدية إليها ، فضلاً عن أن بلادها ضمت بعض المناجم ولاسيما مناجم غيارو .

يقول الإدريسي : « وتصل مملكته — أى مملكة صاحب غانه — بأرض وتقاره ، وهى بلاد التبر المذكورة ، الموصوفة به كثرة وطيباً » (١٦٠) ، وفى موضع آخر يقول : « وشرقى غانه ، أرض وتقاره ، أرض التبر ، بينهما ثمانية أيام ، وهى جزيرة كبيرة يحيط بها النيل (١٦١) .

والواقع إن هذه المنطقة لا تقع شرق غانه كما يقول الإدريسي ، بل هى تقع فى جنوبها الغربى ، والمقصود بالنيل هنا السنغال ، وتقع هذه المنطقة بين فروعه العليا باخوى وبافنج وفاليعى (١٦٢) .

يقول ماجور دنهام D. Denham : « تطلق كلمة وتقاره Ouangara or Ouakoré على كل مناطق الذهب ، وعلى جميع القادمين منها » . والواقع أن هذا المصطلح أطلق كذلك على قبائل الماندينجو ولا سيما على قبيلتى أوفرعى الجولا Jula والسونك .

وتشمل منطقة وتقاره أربعة أقاليم هى : بامبوك Bambuk الواقعة بين روافد السنغال العليا باخوى وبافنج وفاليعى ، وبور Bure عند أعلى نهر تنكسو Tinkisso رافد النيجر ، ولوبى Lobi عند أعلى نهر فولتا واشانتى داخل جمهورية غانه الحديثة .

والراجع أن كلمة وتقاره كما عنها كتاب العرب ووصفوها بأنها أرض الذهب ، بعض هذه الأقاليم وليست كلها (١٦٣) .

ولكثرة ما حصلت عليه غانه من الذهب ، وصفت بأن أرضها كلها ذهب ، يقول ابن الوردى :

« وأرضها كلها ذهب ظاهر ، وأهلها يستخرجون الذهب ويصنعونه كلابن ، وتسافر إليها التجار من سجماسة فى مغارة نحو اثني عشر يوماً » (١٦٤) . ويقول المسعود : « وتحت يد ملك غانه عدة ملوك وممالك فيها الذهب ظاهر على الأرض يستخرجه أهله ويعملونه مثل اللبن » وظفر ملوك غانه بأكثر نصيب من هذه الثروة حتى قال ابن حوقل « وغانه أيسر من على وجه الأرض من ملوكها ، بما لديه من الأموال . (١٦٥) المدخرة من التبر المثار » (١٦٦) .

وأوضح البكرى أن هناك أنواعاً من الذهب ، يستصفها الملك لنفسه ، ويترك ما دونها لرعاياه ، حتى لا ينحط سعر الذهب أو تضعف قيمته ، وعبارته بصدد الذهب المستخرج من منطقة عيارو .

وأفضل الذهب في بلاده (١٦٧) ما كان بمدينة غيارو ، وبينها وبين مدينة الملك مسيرة ثمانية عشر يوماً ، في بلاد معمورة بقبائل السودان ، مساكن متصلة ، وإذا وجد في جميع بلاده الندر (١٦٨) من الذهب استصفها الملك لنفسه ، وترك منها للناس هذا التبر الدقيق ، ولولا ذلك ، لكثير الذهب بأيدي الناس حتى يهون ، والندرة تكون من أوقية إلى رطل ؛ ويذكر أن عنده منه ندره كالحجر الضخم » (١٦٩) .

قام ملوك غانه وتجارها ، بدور الوسيط بين منتجي الذهب في الجنوب وبين العرب في الشمال ، وهؤلاء بدورهم باعوه لأوربا ، وكانت الأسواق الأفريقية هي المنبع الرئيسي للذهب بالنسبة لأوربا قبل كشف أمريكا .

يقول موني :

« كان السودان أعظم مصدر للذهب إلى عالم البحر المتوسط في العصور الوسطى ، حتى تم كشف أمريكا » (١٧٠) ولقد اعتمدت الدول الأوربية على الذهب الوارد إليها عن طريق غانه اعتماداً كبيراً (١٧١) كما كان الذهب الواصل إلى مراکش ، عنصراً هاماً في اقتصاد تلك البلاد خلال تلك العصور (١٧٢) .

أما كيف حصلت غانه وتجار غانه وكذلك تجار المغاربة الذين صحبوا تجار غانه ، على الذهب من منتجه في أعلى السنغال ، فإن ذلك كان يتم عن طريق ما اصطلاح على تسميته بالتجارة الصامتة أو التبادل الصامت *Silent Trade or Dumb-Barter or Commerce Muet*

ويعني هذا المصطلح التعامل والمساومة أو المبايعة — على قول المسعودي — بين أقوام لا يعرف أحدهم لغة الآخر أو يحرص أحدهم على الاحتفاظ بسر منابع ثروته ، خوفاً من النهب والسطو ، أو لأن قوماً من السذج يتعاملون مع قوم أدت حوادث التعامل معهم إلى انعدام ثقتهم بهم ..

ذهب تجار المغاربة بسلمهم من المساجح والودع والصنوعات والملح وغيرها إلى كومي صالح ، عاصمة غانه ، وفيها يجدون زملاءهم وعملائهم الغانيين في انتظارهم .

يخرج الجميع ، ويسرون نحو عشرين يوماً إلى أعلى السنغال ، وفي أماكن معلومة ، يضرب التجار بطبولهم إعلاناً على وصولهم بالبضائع ، ثم يضعون سلمهم في أكوام أو مقادير معينة على شاطئ النهر ، ويختفون ، وحينئذ يخرج الزنوج العراة ويضعون بجوار كل كومة أو مقدار من السلع ما يروونه نظيراً لها من الذهب ، ثم يختفون ، فيظهر التجار ، وإذا اقتنعوا بقيمة الذهب حملوه وانصرفوا بعد أن يضربوا بطبولهم إنذاراً بانتهاء التبادل أو السوق ، وإذا لم يقتنعوا بالذهب الموجود ، لم يقربوه وتركوه واختفوا مرة أخرى ، فيخرج الزنوج ويزيدون من كميات الذهب ، وتكرر عملية الاختفاء والظهور حتى يتم الرضا والاقتناع من الجانبين .

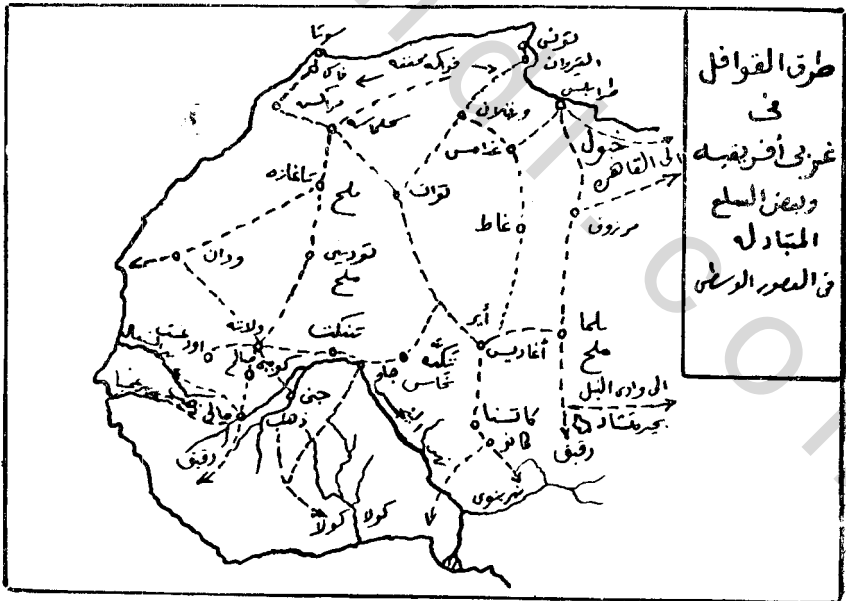
وقد حاول التجار مرة أن يعرفوا شيئاً عن منابع الذهب ، فقبضوا على أحد الزنوج ، وعذبوه حتى مات ولكن دون أن يصرح بشيء ؛ ومن أجل هذا الحادث ظل الزنوج الوطنيون يمتنعون من الظهور والتعامل مع أولئك التجار نحو ثلاث سنون حتى اضطروا لاستئناف التعامل بسبب شدة حاجتهم إلى الملح بصفة خاصة .

وقد أورد المسعودي وصفاً للتجارة الصامتة بصدده حديثه عن مملكة غانه قال : « وملكها — أى ملك غانة — عظيم الشأن ويتصل ببلاد معادن الذهب ، وبها منهم أمم عظيمة ولهم خط لا يجاوزه من صدر إليهم ، فإذا وصلوا إلى ذلك الخط ، جعلوا الأمتعة والأكسية عليه وانصرفوا ، فيأتى أولئك السودان ومعهم الذهب ، فيتركونه عند الأمتعة وينصرفون ويأتى أصحاب الأمتعة ، فإن أرضاهم وإلا عادوا ورجعوا . فيعود السودان فيزيدونهم حتى تتم المبيعة ، كما يفعل التجار الذين يتبايعون القرنفل من أهله سواء ؛ وربما رجع التجار بعد زوالهم مختفين ، فوضعوا النيران في الأرض فيسيل الذهب ، فيسرقه التجار ثم يهربون لأن الأرض كلها ذهب عندهم ومعدن ظاهر ، وربما فطنوا بهم فيخرجون في آثارهم وإن أدركوهم قتلوهم » (١٧٣) .

لقد أورد هيرودوت (ت حوالى ٤٥٠ ق م) وصف مثل هذا المنظر فيما كتب عن تجار القرطاجنيين قديماً في الذهب ، وفي نفس المنطقة من غرب أفريقية (١٧٤) ويبدو أن هذه الطريقة كانت مألوفاً في كثير من أجزاء أفريقية ، وشرح التجار العرب وكذلك تجار البربر من صنهاجه للرحالة كاداموستو (في القرن الخامس عشر للميلادى) أن هذه التجارة لازالت هي السائدة ؛ وكذلك وصفها رحالة آخرون .

على أن التجارة الصامتة لم تكن من خصائص غربي أفريقيا وحده ، وإنما عرفت في تجارة الحرير كذلك في القرن الأول الميلادي ؛ مارسها الرومان والصينيون عند شاطئ أحد أنهار بلاد بارثيا Parthia ؛ كذلك شهدها الرحالة الصيني فاهين Fa-Hein — في القرن الخامس الميلادي في جزيرة سيلان ؛ ويقال إن هذه التجارة كانت أمراً مألوفاً في تجارة الذهب في الحبشة خلال القرن السادس الميلادي ؛ وفي العصور الحديثة ، لازالت صور من هذه التجارة تمارس بين أقزام الكونغو ... وبما إلى اليوم (١٧٥) .

وأما تجار الرقيق فقد راجت كذلك وجنت منها إمبراطورية غانة أرباحاً طائلة ، وكان في العاصمة كومي صالح مسوق رائجة لهذه التجارة ، وتمون السوق بالعبيد عن طريق الاقتناص من الحدود الجنوبية ، حيث يوجد الزنوج البدائيون ، وعمل أهل السودان الغربي والأوسط في تجارة الرقيق في جميع بلاد السودان بين المحيط الأطلسي والبحر الأحمر .



وحصلت غانة على رقيقها بصفة أساسية من القبائل المتوحشة التي عرفت في الكتب العربية باسم الدمام Dem Dem أو اللاميين Lem Lem فيقول البكري :

« مملكة المدمم غربى غانة ، يأكلون ما وقع لهم ، ولهم ملك كبير وملوك تحت يده ، وعنده قلعة عظيمة ، عليها صنم امرأة يعبدونها » .

ويقول الإدريسي :

« وجنوب بريسى أرض للم ، ويغير عليها أهل بريسى وسلى وتكرور وعانة ويسون أهلها ، ويجلبونهم إلى بلادهم ، فيبيعونهم من التجار الداخلين إليهم ، فيخرجهم التجار إلى سائر الأقطار ، وإذا بلغ أحدهم الحلم فى أرض للم ، وشتم وجهه وصدغه بالنار علامة لهم » وفى موضع آخر يقوم الإدريسي :

« وجنوب غانة أرض الكفار الللمية » .

ونظراً لحاجة بلاد السودان إلى الملح وأهمية ذلك ، كان العبد يباع أحياناً بكمية من الملح لا تعدو قدر حجم قدمه ، فقد أورد الشنقيطى بصدد تجارة بلاده شنقيط — من أعمال سوس الأقصى بالغرب — فى الملح مع بلاد السودان ، أن تجارة أهل شنقيط كانت رائجة وأن « أعظم ما يتجرون به الملح إلى السودان ، يقال إن العبد كان يباع بمزدائه ، أى نعله ، أى أن الملح يقطع على هيئة اللوح الكبير فيشد بالحبال ويوضع على ظهر الجمل فإذا صار إلى السودان ، يجعل تحت قدم العبد منه مقدار نعل ، فيكون قيمة له » . . .

وذكر كذلك ، أن هذا كان فى الزمن القديم ، ثم حدث باتساع التجارة وكثرة وصول سلعة الملح إلى بلاد السودان ، أن صار الثمن المألوف للعبد أو الأمة هو حمل جمل من الملح قال :

وحمل الجمل يباع فى عبد أو أمة — وكل ما عند السودان يباع فى الملح كالحلخيل والياباب — والزرع والعبيد ، ويقال إنهم كانوا يبيعون أولادهم فيه « (١٧٦) » .

* * *

قام البناء الاجتماعى فى إمبراطورية غانة على النظام القبلى ، شأن غيرها من الإمبراطوريات والممالك التى قامت بالسودان الغربى والأوسط ، غير أن قيام حكومة مركزية مهيمنة ، ساعد على إضعاف التناحر بين القبائل ، كما أن الإسلام وتعاليمه

كانت أكبر عامل في اضعاف العصبية القبلية وأن لم تمحها ، بففضل الإسلام والثقافة العربية الإسلامية ، اتصل العانيول بأرقى الحضارات الإنسانية المعاصرة وهى الحضارة الإسلامية .

واشتهرت قبيلة السونك بحماسها للدعوة الإسلامية ونشر فضائلها ، حتى غدا اسمها في بعض جهات حوض السنغال مرادفاً لكلمة « داعية » (١٧٧) .

ولما كانت قبيلة السونك هى مؤسسة إمبراطورية غانة ، وأن الملكية في بعض عشائرها ، امتازت هذه العشيرة عن غيرها من عناصر سكان غانة ، فكان منها أغلب جيش الإمبراطورية وكثير من كبار أعوان الملك .

أما أعمال الناس في إمبراطورية غانه ، فتنوعت بين الزراعة والصناعة وممارسة بعض الحرف الأخرى ، فيما يشبه التخصص ، فمثلا اشتهرت عشيرة كروما Korma بالعمل في صناعة الحديد ، فاشتهرت هى وغيرها بمن عمل في هذه الصناعة باسم « قبيلة الحدادين » (١٧٨) والمعروف أن صناعة الحديد قديمة في غربى أفريقيا ولاسيا غانة (١٧٩) ، كذلك اشتهرت بعض القبائل بممارسة الزراعة ، عملاً أساسياً لها ، وغيرها بالحياكة وأخرى فى الرعى ، والصيد وهكذا (١٨٠) .

وهناك طبقة التجار ، وهى طبقة ممتازة ، وتضم كثيراً من المسلمين الوطنيين فضلا عن العرب والبربر الذين استقروا فى كومبى صالح وغيرها من المدن التجارية الهامة مثل ولاته (١٨١) .

* * *

ونظراً لشهرة غانة بثرائها ، تمتع ملوكها بالنصيب الأوفى من هذا الثراء فضلا عن الترف والسعة ، وكانت مصالح الملوك وذويهم هى المفضلة دائماً ، وهذه ظاهرة عامة فى جميع الإمبراطوريات التى قامت بفرى أفريقيا ، فالعامل المشترك بينها جميعاً ، هو استغلال الرعاية لصالح الحاكمين المستبدين .

كان ملك غانة يستصفى الجيد من الذهب لنفسه (١٨٢) ، بل كان لبعض ملوكها المسلمين قطعة ذهب ضخمة فى قصورهم ، استخدموها مربوطاً لحيولهم ، واختلف فى

وزنها ما بين ثلاثين رطلا وطن ، كما اقترن بها كثير من الأساطير ، واشتهرت وعرفت في معظم أنحاء العالم (١٨٣) .

وعبارة ابن الوردي : « وفي قصره تبرة واحدة من الذهب كالصخرة العظيمة ، وفيها ثقب كالربط ، وهو مربوط فرس الملك » (١٨٤) .

ويقول الإدريسي . . « والذي يعلمه أهل المغرب الأقصى علماً يقيناً لا اختلاف فيه ، أن له في قصره لبنة من ذهب وزنها ثلاثون رطلا من ذهب تبرة واحدة ، خلقها الله تعالى خلقة تامة من غير أن تسبك في نار أو تطرق بآلة ، وقد نقر فيها ثقب وهي مربوط لفرس الملك ، وهي من الأشياء الغريبة التي ليست عند غيره ولا صحت لأحد إلا له ، وهو يفخر بها على سائر ملوك السودان » (١٨٥) .

وقد تصرف بعض ملوك غانة المسرفين في هذه القطعة ، فيقال إن بعض التجار المصريين اشتروا هذه القطعة ، ويقال كذلك أن وزنها يبلغ نحو طن (١٨٦) .

وقد وصف الإدريسي قصر ملك غانة ، الذي بناه عام ٥١٠ هـ / ١١١٦ م ، وما به من زخارف فقال : « وله قصر على صفة النيل (١٨٧) ، قد أوثق بنيانه ، وأحكم إتيانه ، وزينت مساكنه بضروب من النقوش والأدهان شمسيات الزجاج » (١٨٨) وكان طراز هذا القصر وما به من زخارف ونقوش وألوان وتحف ، قد استوردت من مصر وسوتا وصقلية (١٨٩) .

ونظام تحية الملك ، هو المألوف عند غيره من ملوك السودان الغربي ، وهو نظام الترتيب وهي ظاهرة من العهد الوثني ، وتقضى بأن يضع القدام على الملك التراب على رأسه ، غير أن المسلمين في غانه لم يمارسوها ، فكانت تحيتهم للملك غانه الوثنيين بالتصفيق بالدين .

يقول البكري : « فإذا دنا أهل دينه — أي دين الملك الغاني الوثني — منه جثوا على ركبهم وشرخوا التراب على رؤوسهم ، فلك تحيتهم له . . وأما المسلمون ، فلأنما سلامهم عليه يكون بالدين » (١٩٠) .

وعرفت هذه الظاهرة عند ملوك مالى المسلمين ، وشهدها ابن بطوطة ولم

تمجيته (١٩١) . وانقرد ملوك غانة وولاية عهدهم بزي خاص يعيزهم عن سائر الرعايا ، فضلا عن أنواع الخلى التى يزينون بها .

يقول بها البكرى : « ولا يلبس الخيط من أهل دين الملك غيره وغير ولى عهده » (١٩٢) وفى موضع آخر ، يذكر البكرى : « وملكهم يتعلى بحلى النساء فى العنق والذراعين ويجعل على رأسه الطراوير المذهبة ، عليها عمامم القطن الرفيعة » (١٩٣) ، وعن الإدريسي فيما يلبسه ملوك غانا « أزار حرير يتوشح به أوبردة يلف بها وسراويل فى وسطه ونمل شركسى فى قدمه ، وله حلية حسنة وزى كامل يقدمه أمامه فى أعياده (١٩٤) ...

أما زى سائر أهل غانة ، فهو كما يقول البكرى : « ملاحف القطن والحرير والديباج على قدر أحوالهم (١٩٥) ويقول الإدريسي : « ولباس أهل غانة الأزرق والنفوط والأكسية » (١٩٦) .

إلا أن الملك يتفق مع رعاياه ، فى مظهر واحد وهو حلق الشعر ، يقول البكرى : « وهم أجمع يحلقون لحاهم ، وأساقمهم يحلقن رؤوسهن » (١٩٧) .

* * *

ومن التقاليد التى سادت فى غانة الوثنية وأن شابهها الأخبار الأسطورية : اختلاط الملك برعاياه وسمره معهم ، يذكر الفتاش عن ملك غانة الوثنى ، وأسند هذا إلى كيمع ، أى ملك الذهب ، أنه كان « يخرج بعد عشاء كل ليلة يسمر مع قومه ، ولا يخرج حتى يجتمع عليه ألف حزمة — أى حزمة حطب — ويجمعوها فى باب دار مملكته ، ويوقد تحته نار ، ويشعل مرة واحدة ، ويضىء له ما بين السماء والأرض ، ويشرق البلد كله ، ثم يأتى ويجلس على منصة الذهب الأحمر . . ويأمر بعشرة آلاف من الموائد ويأكلون ، وهو لا يأكل ، ففى تم الأكل ، يقوم ويدخل ولا يقومون حتى تصير الحزومات رماداً ، ثم يقومون ، وهذا على الدوام » (١٩٨) .

وهناك ما عرف باسم « حكم الماء » ، وهو نوع من نظم القضاء أو التحكم فى العهد الوثنى ، شرح البكرى هذا التقليد بقوله :

« وبلاد غانة حكم الماء ، إذا اتهم أحد بسرقة أو قتل أو غير ذلك ، عمد أمينهم

إلى عود فيه حرافة ومرارة ورقة ، وصب عليه من الماء قدرآ ما ، وسقاه المتهم ، فإن رماه من جوفه ، علم أنه برىء وهنىء بذلك ، وإن لم يرمه وبقي في جوفه ، صحت الدعوى عليه » (١٩٩) .

ومن عادات الدفن في العهد الوثني ، دفن الملك ومعه المقربون إليه من خدمه ، فضلا عن طعامه وشرابه وحليه ، ولهذا شبيه في بلاد الشرق القديم . وقد أفاض البكري في وصف هذا التقليد ، يقول :

« ودياناتهم المجوسية وعبادة الدكاكير — أى الأصنام — إذا مات ملكهم عقدوا له قبة عظيمة ، من خشب الساج ووضعوها في موضع قبره ، ثم أتوا به على سرير قليل الفرش والوطأ ، فأدخلوه في تلك القبة ، ووضعوا معه حليه وسلاحه وآنيته التي كان يأكل فيها ويشرب ، فأدخلوا فيها الأطعمة والأشربة ، وأدخلوا معه رجلا ممن كان يخدم طعامه وشرابه ، وأغلقوا عليه باب القبة ، وجعلوا فوق القبة الحصر والأمتعة ، ثم اجتمع الناس ، فردموا فوقها بالتراب حتى تأنى كالجيل الضخم ، ثم يخذقون حولها ، حتى لا يوصل إلى ذلك الكوم إلا من موضع واحد ، وهم يجذبون لموتاهم الذبائح ويقربون لهم الخمر » (٢٠٠) .

ويبدو وضوح الأثر الشرقي القديم في هذا التقليد ، فقد وجد عند ملوك السومريين القدماء (٢٠١) ، كما وجدت صور منه عند الفراعنة ، كذلك وجد هذا التقليد عند ملوك كاتسنا Kirina من دون الهوسا وذلك قبل اعتناقهم الإسلام (٢٠٢) .

غير أنه عندما صارت الحكومة الغانية إسلامية منذ نهاية القرن الحادى عشر ، اختفى هذا التقليد وحلت التقاليد الإسلامية ، وعثر على شواهد القبور عليها بعض آيات القرآن الكريم ، فضلا عن دعوات لصاحب القبر ، وذلك باللغة العربية (٢٠٣) .

* * *

ومن ناحية الأحوال الصحية في إمبراطوية غانة ، فهذه لم تكن ملائمة لسكنى الأجانب الذين لم يتعودوا عليها ، وهذا أمر واضح ، لسبب عدم ملائمة المناخ في تلك البلاد لغير أهلها ، ولعدم وضوح واجب الحكومة في العناية بالصحة العامة ، وكان البكري صادقاً حين قال :

وغانه بلد مستوية — أى موبوءة — غير آهلة ، لا يكاد يسلم الداخل فيها من المرض ، عند امتلاء زروعهم ، ويقع الموتان في غرباتها عند استحصاد الزرع» (٢٠٤).

* * *

وفي الحياة الروحية والثقافية ، برزت الآثار العربية الإسلامية ، وأوضح ماكانت في العاصمة كومي صالح والمدن الزاهرة الكبرى أمثال ولاته ونيمه وأودغست .

وقد ضمت غانه منذ فجر تاريخها ، وحق قبل أن تتحول حكومتها إلى الإسلام ، نحو اثني عشر مسجداً ، ألحق بكل مسجد مدرسة لتعليم القرآن وقواعد الدين واللغة العربية ، كما أن القسم الإسلامي من العاصمة كان مليئاً بالعلماء والفقهاء والأئمة (٢٠٥) وكذلك كانت ولاته ونيمه ، وأودغست التي كانت مراكز ثقافية عربية إسلامية كما كانت مراكز لنشر الدعوة الإسلامية .

كانت اللغة العربية هي لغة العبادة والثقافة الوحيدة في البلاد ، وهذا بجانب كونها لغة التجارة المستعملة في التبادل التجاري والمكائبات ، واحتلت هذه اللغة في غانه وفي غيرها من بلاد السودان الغربي والأوسط المكانة التي احتلتها اللغة اللاتينية في أوروبا في العصور الوسطى ، بل زادت عليها إذ بقيت اللغة العربية بتلك البلاد لغة للدين والثقافة حتى في العهد الاستعماري ، بينما زالت اللغة اللاتينية تدريجياً أمام زحف اللغات الجرمانية القومية بأوروبا في تلك العصور ، أكثر من هذا ، شهد بعض المكتشفين والمستمرين في مطلع العصور الحديثة بأن إلام سكان غربي أفريقيا باللغة العربية ، يفوق إلام أوروبا باللغة اللاتينية في العصر الوسيط (٢٠٦) .

أقبل الأفريقيون المسلمون على مناهل العلم العربية في حماس تلقائي ، بسبب ما اتصف به انتشار الإسلام وبعته من تسامح وفضائل ، وبفضل ما امتاز به المسلمون من العرب والبربر الذين استقروا في غانه وغيرها من بلاد السودان ، والذين اتصلوا بتلك البلاد ، من كفاءة وخبرة في شتى الميادين الاقتصادية والإدارية فضلاً عن الجانب الثقافي ، إذ كان المسلمون يمثلون حضارة رفيعة ومدنية سامية بدليل استعانة ملوك غانه الوثنيين بهم في أجل أعمالهم (٢٠٧) .

ومن ناحية العلاقات الخارجية ، أبرزها العلاقات التجارية والثقافية ، وهي العلاقات التي ربطت غانه ببلاد البحر المتوسط ، فقد كان ذهب غانه ووارثتها مالى ، عنصراً أساسياً فى اقتصاديات شمالي أفريقيا بصفة خاصة ، وكذلك بالنسبة لأوروبا وعلى الأقل قبل كشف أمريكا (٢٠٨) .

ومن البيوت التجارية التي ساهمت فى تنشيط هذه العلاقة ، على نحو منظم ، شركة المقرى جداً الكاتب المعروف أحمد بن محمد المقرى المتوفى عام ١٦٣٣ م ، وهو صاحب كتاب نفح الطيب ، ويحتمل أن هذه الأسرة بدأت أعمالها التجارية منذ القرن الثانى عشر الميلادى أى قبل نهاية إمبراطورية غانه بما يقرب من قرن ، وكان لها ممثلون فى مدينة ولانا الخاضعة لغانا وقد شهد هؤلاء القيمون فى ولانا نهاية إمبراطورية غانه على يد الصوصو عام ١٢٠٣ ، وهجرة العلماء والتجار المسلمين من كومبي صالح إلى ولانه بعد دخول الصوصو (٢٠٩) .

وظهرت غانه فى الخرائط التي صدرت بأوروبا فى العصور الوسطى عن مدرسة ميورقه ، فى الخريطة القطلونية أو الأطلس القطلونى لابراهيم كرسك A. Cresques (١٣٧٥) — ظهرت مدينة نيمة Nayma باعتبارها المركز الرئيسى لإمبراطورية غانه Guynoa كذلك ظهر اسم غانه Gheneoa على خريطة فلادست Vill adestes (١٤١٣) ، وأشارت هذه الخريطة أيضاً إلى أمير المرابطين باسم Rev Buberder والمقصود به الأمير أبو بكر الذى فتح غانه ١٠٧٦ ومدملك المرابطين إلى جنوبى الصحراء (٢١٠) .

وازدادت علاقات غانه مع بلاد العالم الإسلامى الشرقى فى عهد الحكومة الإسلامية التي قامت فى غانه منذ أواخر القرن الحادى عشر الميلادى ولاسيما بعد أن اتصل ملوك غانه المسلمون بالخلافة العباسية وربطوا أنفسهم بها ، وقاموا فى بلادهم كممثلين للخلقة العباسى ، بل ادعوا النسب العلوى (٢١١) فانتشرت التقاليد الشرقية فى غانه ، ومنها لبس العمامة ، كما أن صلة مصر لم تنقطع بغانه وغيرها من بلاد السودان الغربى والأوسط ، فإن مصر تقع على طريق الحاج ، وظلت أهمية مصر قائمة بالنسبة لبلاد غربى أفريقية ، رغم اضطراب أحوال الشرق الأوسط منذ أواخر القرن الحادى عشر بسبب الصراع الداخلى فى مصر أواخر العصر الفاطمى ثم حلول الخطر

الصليبي الاستعماري يبلاد الشرق الأوسط منذ عام ١٠٩٩م ومحاولة قادة المسلمين توحيد الجبهة الإسلامية للجهاد ضد العدو المشترك ، وهى المحاولة التى بلغت ذروة النجاح فى عصر صلاح الدين التوفى عام ١١٩٣م ، أى قرب نهاية إمبراطوية غانة الإسلامية .

وحقى بعد سقوط غانة ، ظل حجاجها يمرون بالقاهرة ، وقد شاهد ابن خلدون بعض حجاج كومي صالح فى القاهرة عام ١٣٩٠ م ، وهم فى طريقهم إلى الحج .

* * *

أما الجيران الأفريقيون الأقربون إلى غانة ، فكانت علاقتهم بها أقرب إلى الصراع المستمر منها إلى الهدوء والاستقرار ، ولا سيما تلك الممالك التى خضعت لغانة وكانت تدفع لها الجزية ، لكنها تتحين الفرصة للخروج عليها ، فمن جيران غانة الغربيين ، مملكة التكرور ، وهذه استطاعت أن تحتفظ باستقلالها وقوتها ضد توسع جارتها الشرقية القوية ، وكانت مملكة تكرور أسبق من غانة فى اعتناق الإسلام ، وازدهرت فى القرن الحادى عشر إلى أن طوتها إمبراطورية مالى ومن بعدها صنغى^(٢١٢) . وهناك مملكة سلى الإسلامية التى استطاعت أن تحتفظ باستقلالها أيضاً ، كما أن مملكة ماسنة فى الجنوب الشرقى من غانة ، وملوكها من الفولانيين ، وأغلب سكانها من البربر والفولانيين ، لم تخضع لغانة .

وفى جنوبى غانة تقع مملكة الصوصو فى كانياجا ، وهذه خضعت لغانه ودفعت لها الجزية لكنها لم تخلص لها إذ كان الصوصو حينئذ على الوثنية ، بينهما كانت غانة حافلة بعدد كبير من المسلمين ، ولذلك عند ما داهم المرابطون غانة عام ١٠٧٦ م ، استقلت كانياجا ، وأضعت هى الخطر الأكبر على غانة فيما بعد ؛ وأما مملكة مالى فى ذلك الوقت ، فكانت بعيدة عن غانة ولم يكن خطرها قد وضع بعد .

ومن أقوى ممالك البربر المجاورة لغانة من ناحية الشمال ، مملكة أودغست حيث تسود قبائل لمتونة القوية ، ومع أن غانة استولت على أودغست حوالى عام ٩٩٠ م ، إلا أنها استعادت استقلالها بعد صراع طويل^(٢١٣) .

* * *

جاءت نهاية إمبراطورية غانة واختفاؤها عن مسرح التاريخ السياسى فى غربى

أفريقيا في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي ، غير أن عوامل الإنهيار بدأت قبل ذلك بأمَد طول ، وأولها عامل طبيعي ، بدأ قبل القرن الحادى عشر ، وهو الجفاف التدريجى الذى حل بالمناطق الواقعة شمالي حوض السنغال ، مما حمل الناس على الهجرة والتفرق (٢١٤) وجاء العامل الآخر وكان حاسماً ، وهو الغزو الحربى لبلاد غانه ، وما يعقبه عادة من انقلات زمام السلطة واختلال الأمن فى الداخل وخروج الإمارات أو الممالك الخاضعة لغانة ، وتطلعها إلى السلطة والسيادة .

ويمكن تقسيم الغزو الحربى إلى ثلاثة فصول ، أولها استيلاء المرابطين على غانة قرب نهاية القرن الحادى عشر ، إلا أن غزو المرابطين لم يؤد إلى اختفاء غانة ، وإنما أدى إلى تحول حكومة غانة إلى الإسلام كما أن سيادة المرابطين على غانه أو نفوذهم فيها لم يستمر طويلا ، فقد استطاع السونك أن يستعيدوا استقلالهم عقب وفاة ابن بكر أمير المرابطين عام ١٠٨٧ م .

والذى اقترن بفتح المرابطين لغانة ، هو اضطراب الأمن وتزعزع الولاء نحو السونك من قبل الممالك الخاضعة لهم ، وثانيها غزو الصوصو فى مطلع القرن الثالث عشر ، وهو الذى أنهى إمبراطورية غانة ، ثم جاء الفصل الأخير قبيل منتصف النصف الأول من القرن الثالث عشر ، وذلك على يد إمبراطورية مالى النامية فى كانجابا وكان متمماً لحركة الصوصو .

تعرضت غانة لزعحف المرابطين ، إذ كانت وثنية ملوكها المعاصرين قد جعلتها هدفاً من أهدافهم للقضاء عليها وتعميم العقيدة الإسلامية فى جميع أنحاء بلاد السودان ، بالإضافة إلى مطامع المرابطين فى ذهب السودان وثوراته الأخرى .

بدأ غزو بلاد السودان جنوبى الصحراء الكبرى فى حياة ابن ياسين (ت ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م) القطب الروحى لحركة المرابطين وإمبراطوريتهم ، واشتد الضغط والإلحاح على غانة زمن إمارة أبى بكر بن عمر اللتوني (ت ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م) (٢١٥) .

فتح المرابطون مدينة أودغست عام ١٠٥٥م وعاقبوها على خضوعها لامبراطورية غانة واستسلامها لها بدفع الجزية وقبول سيادة السونك ، فترة من الزمن (٢١٦) ؛ وبعد أن فرغ المرابطون من أودغست ، اتجهوا إلى كومبى صالح عاصمة غانة نفسها

واقتمصوها عام ١٠٧٦ م وأقاموا عليها حاكماً مسلماً (٢٢٧) . ومنذ ذلك الوقت صار ملوك غانة مسلمين ، سواء كانوا تابعين للمرابطين حتى عام ١٠٨٧ م أم انفصلوا عنهم بعد ذلك العام ، وهو سنة وفاة أبي بكر زعيم المرابطين ، وأعلنوا تبعيتهم للخليفة العباسي في بغداد مباشرة (٢١٨) .

أدى هذا الغزو إلى خروج بعض الممالك الخاضعة للإمبراطورية ، وإعلان استقلالها بحيث لم تعد سلطة ملوك غانة المسلمين نافذة إلا في مناطق أوكاروماسيكور ، وديارا (٢١٩) .

كانت الصدمة الثانية هي القاضية على الوجود التاريخي لإمبراطورية غانة ، أما فتح المرابطين السابق ، فلم يترتب عليه زوال غانة ؛ جاءت هذه الصدمة القاضية على يد قبائل الصوصو الوثنية في ذلك الوقت Soso أو Sosu أو Su Su ، والصوصو فرع من الفولانيين ، هاجر من بلاد تکروروكون طبقة حاکمة في إقليم كانياجا Kamiaga التابع لإمبراطورية غانة ، وظل حكام الصوصو يذفون الجزية لحكومة غانة فترة طويلة ، حتى إذا كان فتح المرابطين لغانة عام ١٠٧٦ م خرج الصوصو وأعلنوا استقلالهم وانفصلهم عن غانة وأخذوا يتوسعون فيما حولهم حتى إنهم انتزعوا إقليم ديارا من غانة الإسلامية أواخر القرن الثاني عشر (٢٢٠) .

وفي مطلع القرن الثالث عشر ، استولى أعظم أباطرة الصوصو وهوسومانجورو Sumanguru على العاصمة كومبي صالح عام ١٢٠٣ م (٢٢١) وبذلك أنهى الصوصو سيادة الملوك الغانيين المسلمين ، ففرقوا في البلاد ، كما أن عدداً كبيراً من المسلمين من سكان العاصمة الغانية ، هاجر بزعماء رجل اسمه الشيخ إسماعيل ، وانجهوا إلى مدينة ولاتا ، حيث أقاموا مركزاً تجارياً لهم ، وسرعان ما ازدهرت هذه المدينة حتى صارت من أعظم المراكز التجارية في السودان الغربي (٢٢٢) .

وسع سومانجورو إمبراطورية الصوصو وتوجه نحو الجنوب حيث توجد دولة الماندنجو النامية في كانجابا وهي التي اشتهرت باسم إمبراطورية مالي ، ويقال إن سومانجورو قتل أولاد الملك الماندجي « ناري فامغان » N. Famagham (حكم من حوالي ١٢١٨ — إلى حوالي ١٢٣٠ م) من أسرة كيتا ؛ وكانوا اثني عشر ولداً ، إلا أن أصغرهم قد أفلت من القتل ، وهو الذي اشتهر باسم « ماري جاطه » أي ولد الأسد .

على أن نهاية إمبراطورية الصوصو وسومانجورو نفسه جاءت على يد ماري جاطه الذى ضم جميع أملاك الصوصو بما فيها أراضي إمبراطورية غانه إلى إمبراطورية المانجوجو وذلك بعد واقعة حرية فاصلة عام ١٢٣٥ م كيرينا عند Kirina ؛ ويحتمل أنها تقع شمالي كوليكورو في أعلى نهر النيجر .

وفي عام ١٢٤٠ م نجح ماري جاطه في تدمير مابقى من كومي صالح عاصمة غانه وهى التى أقل نجمها منذ هجرها المسلمون على إثر غزو الصوصو ؛ وتدمير العاصمة في عام ١٢٤٠ م هو الفصل الثالث أو الحلقة الأخيرة في اختفاء إمبراطورية غانه (٢٢٣) .

* * *

تلك كانت نهاية إمبراطورية غانه الإسلامية ؛ أما الجمهوريات الحديثة التى قامت على أنقاضها ، أوضحت أجزاء منها ، فهى جمهورية مالى (استقلت ١٩٦٠) وجمهورية موريتانيا (استقلت ١٩٦٠) .

بقى أن نتساءل :

لم اتخذت جمهورية غانه الحديثة اسم « غانه » وهو اسم إمبراطورية غانه التاريخية ؟

الراجح أن جمهورية غانه الحديثة استعارت هذا الاسم التاريخي العريق من باب التيمن باسم عريق لأول إمبراطورية قومية أفريقية قامت بالسودان الغربى ، أقامها شعب أفريقي وطنى ، هو شعب السونك أوقبائل السونك . لقد اتخذت جمهورية غانه هذا الاسم من أجل العمال بعودة المجد القومى الأفريقى السابق .

ثم إن أراضي إمبراطورية غانه القديمة ، تبعد عن حدود جمهورية غانه الحديثة بنحو ألف ميل ، إلا أن هناك احتمالا ، بأن حدود إمبراطورية غانه السابقة قد وصلت إلى المشارف الشمالية لحدود جمهورية غانه الحديثة ، مما يفسر حرص جمهورية غانه على هذا الاسم ، وربما رأت جمهورية غانه الحديثة أنها أول مستعمرة إنجليزية ظفرت بالاستقلال فى غربى أفريقيا فى ٦ مارس ١٩٥٧ م ، فهى من أجل ذلك أجدر بأن تحمل اسم أول إمبراطورية أفريقية قامت فى غربى أفريقيا .

ومن الاحتمالات كذلك ، فى تحليل اتخاذ جمهورية غانه اسمها ؛ ما تواتر من أن أسلاف قبائل الآكان Akan أغلب سكانها جمهورية غانه الحالية ، كانوا يقيمون عند الحدود الجنوبية لإمبراطورية غانه القديمة ؛ وأنهم هاجروا من تلك المناطق إلى أراضي جمهورية غانه (ساحل الذهب سابقاً) (٢٢٤) فى الفترة ما بين القرن الثالث عشر الميلادى والسابع عشر ، أى منذ تدهور امبراطورية غانه السابقة على يد الموصو فى مطلع القرن الثالث عشر ، بل يقال إن أوائل المهاجرين من الآكان تحركوا من غانه على أثر دخول المرابطين العاصمة عام ١٠٧٦ م ومن فروع الآكان قبائل أطلقت على نفسها اسم الأشتانتي Ashanti عندما انفصلت عن أشقائها واخترقت الغابات الاستوائية ، منذ القرن الخامس عشر الميلادى ، لهذه الصلة القديمة جانب فى تفسير اسم جمهورية غانه الحديثة (٢٢٥) .

الحواشي والمراجع

Church, R.G., West Africa, A Study of the Environment (١)
and Man's Use of It, p. 237; L. Lugard, A Tropical Dependency,
p. 95; Hogben, S.J., The Muhammadan Emirates of Nigeria, p. 28;
lCooley, W.D., The Negroland of the Arabs, pp. 33-47; Wiedner,
D.L., A Hist. of Africa South of the Sahara, p. 28; Talbot, P.A.,
The Peoples of Southern Nigeria, p. 62; Bernard, H., Afrique Sep-
tentrionale et Occidentale (Géogr. Univ.) T. XI, p. 428; Baumann
H. and Westermann, D., Les Peuples et les Civilisations de l'Afri-
que, p. 392.

(٢) تاريخ الفناش ص ٤٢ .

(٣) استعمل ترمينجهم كلمة جانا Ghana للدلالة على الإمبراطورية ، وكلمة غانه للإشارة
إلى جمهورية غانه الحديثة (راجع كتابه : Islam in West Africa, p. 3.

(٤) في كتابه : L'Islam dans l'Afrique Occidentale Française,
p. 50, No. 1.

انظر كذلك : Dudly Stamp, Africa, A Study in Tropical Deve-
lopment, p. 271; Okafor (In the New West Africa), p. 27.

(٥) وعبارة مارمول : "Gua'ata quo Otros Ilaman Ganata".

راجع كتابه : L'Afrique, Paris, 1661 ، وانظر كذلك :

Bovill, E.W., The Golden Trade of the Moors, p. 85

Fage, J.D., Introduction to the Hist. of West Africa, p. 20 (٦)

De La Roncière, Ch., La Découverte de l'Afrique au Mo- (٧)
yen-Age, I, p. 103

(٨) المغرب ص ١٧٥ . انظر كذلك : الشنقيط : الوسيط في تراجم أدياء شنقيط

ص ٤٣٧ — ٤٤٤ .

(٩) معجم البلدان ج ٣ ص ٧٧٠ .

(١٠) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٤ .

(١١) الإلام ص ٢٢ ، انظر كذلك : ابن الفقيه : كتاب البلدان ص ٦٨ ، ٨٧ .

(١٢) نعيم قداح : أفريقيا الغربية في ظل الإسلام ص ٢٨ .

L. Lugard, loc. cit., p. 54; (١٣)

(١٤) هذه الإمبراطوريات للمؤلف تحت الطبع .

(١٥) إمبراطورية مالي للمؤلف في المطبعة راجع :

Mc Cullock, M., The Peoples of Sierra Leone Protectorate (Ethno-
graphy Survey of Africa, edited by D. Forde), pp. 1-4; Hollis,
A.C., The Mandi, their language and folklore, pp 1-5.

(١٦) الصيغة العربية عن البكري والإدرسي .

(١٧) الصيغة العربية عن الفتاش والسعدى .

(١٨) انظر ما يلي :

(١٩) راجع : L. Lug., loc. cit., p. 59 ; Baumann, loc. cit., p. 453 ; Wiedner, loc. cit., p. 28 ; Bovill, loc. cit., pp. 69, 81, 194 ; Bernard, loc. cit., p. 423 ; Le Chatelier, A., L'Islam dans l'Afrique Occidentale, pp. 95, 101-102 ; Urvoy, Y., Petit Atlas Ethno-Démographique du Soudan, p. 29 ; Spitz, G., L'Ouest Africain Français, p. 61 ; De La Roncière, loc. cit., p. 84 ; Trimingham, loc. cit., pp. 13-14 ; Palmer, R. The Bornu Sahara and Sudan, The Map (Pocket at End) ;

سلجان : السلالات البشرية في أفريقيا (الترجمة العربية) ص ٥٤ ؛ امبراطورية البرنو الإسلامية المؤلف في المطبعة .

انظر كذلك : Binger, Du Niger au Golfe de Guinée, (Paris, 1892).

(٢٠) انظر خريطة لأمراطورية غانة .

(٢١) Fage, p. 18 ; Gouilly, p. 50 ; Wiedner, p. 28 ; Spitz, p. 61.

(٢٢) De Pedrals, Manuel Scientifique de l'Afrique Noire. pp. 131-132 ; Spitz, p. 61.

(٢٣) De La Roncière, I, pp. 86, 102-108. انظر كذلك :

Nahoum Slousch, Etude sur l'Hist. des Juifs au Maroc, (Paris, 1905)

Hogben, p. 27. (٢٤)

(٢٥) تاريخ السودان ٩ .

(٢٦) Bovill, p. 69 ; Hogben, p. 27 ; Baumann, p. 392 ; Fage, p. 18 ; Yver, p. 139 ; Davidson, Old Africa Rediscovered, p. 63.

(٢٧) نقلها المراجع الأجنبية Wakore

(٢٨) نقلها المراجع الأجنبية Wangara

(٢٩) الفتاش ص ٤٢

(٣٠) نقلها المراجع الأجنبية Baghana

(٣١) تاريخ السودان ص ٩ ، انظر كذلك :

Fage, p. 18 ; Okafor, p. 27 ; L. Lug., p. 90 ; De La Roncière, I, p. 103 ; De Pedrals, p. 132.

(٣٢) الفتاش ص ٤١

(٣٣) الفتاش ص ٤١ ، انظر كذلك : De La Roncière, I, p. 103.

(٣٤) الفتاش ص ٤١

(٣٥) اختلفت المصادر في تحديد نهاية حكم الأسرة الأولى هذه ، فذكر بعضها أنها انتهت عام ٧٧٠ م ، بينما ذكر البعض الآخر أن نهايتها كانت في عام ٧٩٠ م .

(٣٦) Spitz, p. 61.

(٣٧) راجع Bovill, pp. 67-68.

(٣٨) الفتاش ص ٤١
De La Roncière, I, p 88 ; Fage, p. 18 ; De Pedrals, pp. (٣٩)
132, 392.

(٤٠) الفتاش ص ٤٢
Fage, p. 18 ; De Pedrals, pp. 59-62, 132, 151-152 : أنظر ما يلي :
Baumann, p. 390 ; Davidson, p. 64. (٤٢)

(٤٣) المغرب ص ١٧٤ : أنظر كذلك :
L. Lug., p. 95 ; Hogben, p. 28 ; Wiedner, p. 28 ; Bovill, p. 69 ; Ped-
rals, p. 132 ; De La Roncière, I, pp. 86, 103

(٤٤) الفتاش ص ٤١
(٤٥) تاريخ السودان ص ٩
Yver, p. 139 (٤٦)

(٤٧) أودغست لا وجود لها اليوم ، وكانت تقع بحسب رواية البكري على بعد مسيرة
نحو شهرين من سجلماسة وخمسة عشر يوماً من عاصمة غانة ، ومكانها الآن تجداوست
Tegdaoust شرق منطقة تاجانت Tagant وتقع ضمن جمهورية موريتانيا الحديثة .

راجع : الشنقيطي : الوسيط ص ٤٣٧ ، وعنه أخذت الصيغة العربية الأصلية لمنطقة
تاجانت كما كان ينطقها العرب ؛ المغرب ص ١١٩ . Baumann, p. 392 ; Bovill, p. 69.

(٤٨) البكري ص ١٧٩ : تقويم البلدان ص ٧٢ - ٧٣
Fage, p. 21 ; Davidson, p. 85 ; Le Chatelier, pp. 12-128 ; L. Lug.,
pp. 91-93 ; De Pedrals, p. 132 ; Yver, p. 139 ; De La Roncière, I,
pp. 83-84, 129, II, p. 143

(٤٩) المغرب ص ١٧٩ : أنظر كذلك : الشنقيطي : الوسيط ص ٤٤٢ ؛ نزهة المشتاق
ص ١٠ : Okafar, p. 27. Delafosse, Traditions..., pp. 6-18.

(٥٠) أنظر خريطة لإمبراطورية غانة .
(٥١) نزهة المشتاق ص ١٤ : قداح ص ٢٧ - ٢٩
Bovill, pp. 69, 84 ; Okafar, p. 27 ; Fage, pp. 18-19, 22 ; Davidson,
pp. 84-85 ; Hogben, p. 28 ; Gouilly, p. 50 ; Yver, p. 139

(٥٢) أخبار الزمان (مخطوط) ورقة ٣٩ أ
(٥٣) الفتاش ص ٤١

(٥٤) Yver, p. 139 ; Davidson, p. 63 ; De Pedrals, p. 132 ; Spitz, p. 61 ; Baumann, p. 391 ; Gravier, Recherches sur les Navigations
Européennes faites au Moyen-Age, p. 17.

(٥٦) أخذت الغابة اسمها من الأحرش التي كانت تحيط بها .
(٥٧) المغرب ص ١٧٤ - ١٧٥ : أنظر كذلك :

Davidson, p. 89 ; Hogben, p. 28 ; Bovill, p. 81

- (٥٨) راجع تاليتوس والشعوب الجرمانية للمؤلف ص ٥٥
- (٥٩) نزهة المشتاق ص ٦
- (٦٠) نزهة المشتاق ص ١١
- (٦١) تاريخ ابن الوردي ص ١٥٨
- (٦٢) صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٨٤
- (٦٣) الإلام ص ٢٣
- (٦٤) ليو الأفريقي: الكتاب السابع ص ٢٨٥ — ٢٨٦ ، ٢٩١
- (٦٥) Cooley, p. 45-47
- (٦٦) Fage, p. 20 ; L. Lug., p. 93
Shinnie, Ancient African Kingdoms, pp. 47-48
- (٦٧) Bovill, pp. 80-81 ; Gouilly, pp. 50-51
- (٦٨) Hogben, p. 28
- (٦٩) De La Roncière, I, pp. 86-87, 108
- (٧٠) قداح ص ١٥٤
- (٧١) Church, p. 238 ; Shinnie, loc. cit., p. 49 ; Davidson, p. 86
- (٧٢) Davidson, p. 86 : أنظر : خريطة مدينة كومي صالح .
- (٧٣) Davidson, p. 86 ; Bovill, p. 68
- (٧٤) Davidson, p. 85
- (٧٥) قداح ص ٣٤ ; De Pedrals, :
Shinnie, p. 48 ; Davidson, p. 87 ; De Pedrals, pp. 131-132.
- (٧٦) Shinnie, p. 45
- (٧٧) أنظر اللوحات Shinnie, p. 48
- (٧٨) Ibid., p. 49 : أنظر اللوحات
- (٧٩) Shinnie, p. 49 ; Davidson, p. 87 : أنظر اللوحات
- (٨٠) Bovill, pp. 68-69 ; De La Roncière, I, pp. 85-86 ; De Pedrals, p. 133
- راجع كذلك : Mauny, R., Gravures, Peintures et Inscriptions Rupestres de l'Ouest African (Dakar, 1954).
- به مجموعة من الصور والحرائط والبيانات عن المواقع التي تمت فيها عمليات الحفر في كاوار وتاجانت وولانه وغيرها ، فضلا عن مجموعة قيمة من المراجع العلمية . وقد صدر هذا الكتاب أو هذا التقرير عن المعهد الفرنسي لأفريقية السوداء (I.F.A.N.)
- (٨١) صورة الأرض ص ١٠١
- (٨٢) صورة الأرض ص ١٠١

L. Lugard, p. 107 (٨٣).

(٨٤) البكرى ص ١٥٩

(٨٥) كتبها المراجع الأجنبية Silla

(٨٦) المغرب ص ١٧٢-١٨٣ ؛ أنظر كذلك نزهة المشتاق ص ٣ ؛ ديشان : البيانات

في أفريقيا السوداء (الترجمة العربية) ص ١٢٥

(٨٧) المغرب ص ١٧٩

(٨٨) صبيح الأعشى ج ٤ ص ٢٨٤

(٨٩) المغرب ص ١٧٤ — ١٧٥ ؛ راجع ما سبق عن العاصمة .

(٩٠) المغرب ص ١٧٥

(٩١) المغرب ص ١٧٥

(٩٢) المغرب ص ١٧٥ ؛ أنظر كذلك :

L. Lugard, p. 95 ; Bovill, pp. 81, 84 ; Hogben, p. 28 ; Davidson, p. 29 ; Fage, p. 21

De La Roncière, I, p. 103 (٩٣)

Bovill, p. 84 (٩٤)

(٩٥) الاستقصاء ج ٢ ص ٢٠ — ٢١ ، ابن الخطيب : الحلل الموشية في ذكر الأخبار

المراكشية ص ٦ — ١١ ، الديانات في أفريقيا السوداء ص ١٢٢ — ١٢٣ أوليفر ، فيج :

موجز تاريخ إفريقيا (الترجمة العربية) ص ٩١ — ٩٣

Davidson, p. 85 ; Fage, p. 22 ; Bovill, pp. 84-85 ; De La Roncière, I, pp. 84, 86, 134 ; De Pedrals, p. 147 ; Shinnie, p. 50 ; Marty, Etudes sur l'Islam et les Tribus Maures p. 2 ; Rinn, Marabouts, p. 14 ; Largeau, Le Sahara Algérienne, pp. 109-123 ; Hodgkin, T., Islam and National Movement in West Africa (Conference on Afr. Hist. and Arch., London, 1961).

أنظر كذلك : René-Basset, Mission au Sénégal, Recherches Historiques sur les Maures (Paris, 1910), p. 463 ; Brevié, Islamisme contre Naturisme au Soudan Français, p. 143.

(٩٦) قداح ص ٣٠

(٩٧) أنظر ما يلي وراجع : الديانات في أفريقيا السوداء ص ١٢٣

(٩٨) الاستقصاء ج ٢ ص ٢١ — ٢٢ Hogben, p. 27

(٩٩) Davidson, p. 88

(١٠٠) Trimingham, pp. 13-14 أنظر خريطة نشاط قبائل السونك في الدعوة

إلى الإسلام في السودان الغربي .

(١٠١) الغرناطي : كتاب تحفة الألباب ص ٤٢

(١٠٢) المغرب ص ١٧٧

- (١٠٣) المغرب ص ١٧٧ ؛ أنظر كذلك Bovill, p. 84 ; Davidson, p. 88
- (١٠٤) نزعة المشتاق ص ٦ ، أنظر كذلك :
De La Roncière, I, p. 85 ; L. Lugard, pp. 98-99
- (١٠٥) تاريخ ابن الوردي ص ١٦٠
- (١٠٦) الإلام ص ٢٢
- (١٠٧) إمبراطورية مالي للمؤلف ، وراجع التعريف ص ٢٧
- (١٠٨) إمبراطورية مالي للمؤلف ، وراجع التعريف ص ٢٧
- (١٠٩) إمبراطورية بنو المؤلف وراجع :
Palmer, The Bornu Sahara and Sudan, pp. 7-8
- (١١٠) المغرب ص ١٧٥
- (١١١) المغرب ص ١٧٥
- (١١٢) راجع ما سبق وانظر البكري ص ١٧٤ ؛
Hogben, p. 28
Davidson, pp. 88, 90 ; L. Lug., pp. 95, 119
- (١١٣) راجع السعدي ص ٢٠ — ٢٢ ؛
L. Lug., pp. 113-114
Baumann, pp. 31, 409-410 ; Palmer, op. cit., pp. 7, 55, 81-82 ; Four-
nel, op. cit., p. 198.
- (١١٤) تحفة النظار ج ٤ ص ٤٤٣
- (١١٥) صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٩٤ ، إمبراطورية مالي للمؤلف .
- (١١٦) قداح ص ١٠٤
- (١١٧) إمبراطورية مالي للمؤلف وراجع Montell, pp. 59-60
- (١١٨) إمبراطورية بورنو للمؤلف ؛ Palmer, pp. 6, 92, 209-210
- (١١٩) المغرب ص ١٧٥
- (١٢٠) تاريخ ابن الوردي ص ١٦٠
- (١٢١) البكري ص ١٧٥
- (١٢٢) Tagant الصيغة العربية عن الشنقيطي . ويقول : إن معنى هذه الكلمة
(تا كانت) الغابة (ص ٤٢٨)
- (١٢٣) Baghan — الصيغة العربية عن السعدي
- (١٢٤) قداح ص ٢٩ ، ١٠٩ ؛ Bovill, pp. 84-85 ; Fage, p. 22 ؛
Davidson, p. 85 ، أنظر ما يلي وراجع الخريطة رقم ١
- (١٢٥) Bovill, p. 84
- (١٢٦) قداح ص ٥١ ، ١١١
- (١٢٧) Okafor, p. 27
- (١٢٨) المغرب ص ١٧٥ ؛ راجع ما سبق وانظر :
Bovill, p. 81
Fage, p. 21

- (١٢٩) الحنف بفتح الجيم والماء جمع حنفة ، وهو الترس المأخوذ من جلود وليس فيه خشب ولا عقب (المختار ، القاموس المحيط) .
- (١٣٠) الساجور خشبة تجعل في عنق الكلب ، ويقال كلب مسوجر (المختار ، القاموس المحيط) .
- (١٣١) دبا Daba أو دابا Daba بلغة السونوك طبول ملكية ، ولا زالت تعرف إلى Bovill, p. 81 اليوم بهذا الاسم عندهم — راجع Davidson, p. 85 ; L. Lug, p. 99
- (١٣٢) المغرب ص ١٧٥ - ١٧٦
- (١٣٣) نزهة المشتاق ص ٧
- (١٣٤) نزهة المشتاق ص ٧ ؛ أنظر كذلك De Pedrals, p. 133
- (١٣٥) المصدر السابق
- (١٣٦) تاريخ ابن الوردي ص ١٦٠
- (١٣٧) قداح ص ٣٧
- (١٣٨) Bovill, p. 82 ; Davidson, p. 85 ; Spitz, p. 61
- (١٣٩) البكري ص ١٧٧
- (١٤٠) Davidson, pp. 84-85 ; Shinnie, p. 47 ; Bovill, p. 82
- (١٤١) تاريخ ابن الوردي ص ١٥٨
- (١٤٢) أنظر خريطة القوافل وراجع : Fournel, pp. 115-133
- 168-190 ; Okafar, p. 27 ; Bovill, p. 82
- (١٤٣) أنظر ما يلي وراجع : Bovill, p. 81
- (١٤٤) Fage, p. 20 ; L. Lug., p. 100 ; Hogben, p. 29
- (١٤٥) L. Lug., p. 100 ; Hogben, p. 29
- (١٤٦) Spitz, p. 61
- (١٤٧) المغرب ١٧٧
- (١٤٨) المغرب ص ١٧٧
- (١٤٩) Bovill, p. 82
- (١٥٠) Davidson, p. 48
- (١٥١) صورة الأرض ص ٩٨
- (١٥٢) إمبراطورية مالي للدولف ؛ ابن بطوطة : تحفة النظار ج ٤ ص ٣٧٧ - ٣٧٨ ؛ De La Roncière, I, pp. 83, 88, 129, 138 ; II, p. 143 ; III, p. 44
- Bovill, pp. 141-142 ; Fage, p. 20
- (١٥٣) معجم البلدان ج ٣ ص ٥٣ ؛ راجع كذلك نقش الأزهار ص ٨ ؛ Bovill, p. 81

(١٥٤) تحفة الألباب ص ٤١ - ٤٢

Hogben, p. 29; Shinnie, p. 47 (١٥٥)

(١٥٦) راجع ما سبق وانظر المغرب ص ١٧٥ ؛ Davidson, p. 89

(١٥٧) المثقال يساوى حوالى ثمن أوقية ذهب (Davidson, p. 88)

(١٥٨) المغرب ص ١٧٦ ؛ أنظر كذلك Davidson, p. 88

(١٥٩) لإمبراطورية مالى للمؤلف ؛ ابن بطوطة ج ٤ ص ٤٣٩ - ٤٤١ ؛ مسالك الأبحار

ج ٢ ق ٣ ورقة ٥٠٧ ؛ L. Lug., p. 117 ؛ Bovill, p. 94

(١٦٠) نزهة المشتاق ص ٦ - ٧

(١٦١) نزهة المشتاق ص ١٤

(١٦٢) أنظر خريطة إمبراطورية غانة .

(١٦٣) Bovill, pp. 83, 191-192, 194-202 ; Davidson, pp. 78, 81 ;

Fage, p. 21 ; Shinnie, p. 45 ; Spitz, p. 61 ; De La Roncière, I, p. 98 ;

De Pedrals, p. 132

(١٦٤) تاريخ ابن الوردي ص ١٥٨

(١٦٥) أخبار الزمان (مخطوط) ورقة ١٣٩

(١٦٦) صورة الأرض ص ٩٨

(١٦٧) الضمير عائد على ملك غانة .

(١٦٨) الندرة (Nugget) هى القطعة الكبيرة .

(١٦٩) المغرب ص ١٧٧ ؛ أنظر كذلك Davidson, p. 88 ; Bovill, p. 82

Davidson, p. 83 (١٧٠)

Shinnie, p. 45 (١٧١)

Fage, p. 21 (١٧٢)

(١٧٣) أخبار الزمان (مخطوط) ورقة ٣٨ ب ، ١٣٩ .

(١٧٥) من مراجع التجارة الصامتة :

Gautier, Le Passé de l'Afrique du Nord, pp. 48-58

De La Roncière, I, pp. 94-99 ; Shinnie, pp. 44-46 ; Bovill, pp. 82-83 ; Johnston, pp. 296-300 ; Kupe, p. 28 ; Wiedner, pp. 29-30 ; Ward, p. 30 ; Reindore, p. 2 ; Gsell, I, pp. 468-469 ; Fage, pp. 20-21 ; Hobbey, Early Explores, p. 7 ; Opening Afr., p. 4 ; Ivir Willks (Univ. Coll. of Ghana). A Medieval Trade Route from the Niger to the Gulf of Guinea (Paper Read before the third Conference on African Hist. and Arch., London, 1961).

(١٧٦) من مراجع هذه الصحيفة :

البكرى ص ١٨٣ ؛ نزهة المشتاق ص ٣ - ٣ ، ٨ - ٩ ؛ الشنقيطى : الوسيط

ص ٤٩٣ - ٤٩٤ ؛

Cooley, pp. 111-115

Pruen, p. 208 ; Johnston pp. 151-154 ; Hobbey, Opening Afr., pp. 17-18 ; Bovill, p. 83 ; Ryder The Portuguese in West Africa, (Conference on Afr. Hist. and Archeol., London, 1961).

- (١٧٧) راجع ما سبق وانظر Trimingham, pp. 13-14
- (١٧٨) قداح ص ٣٦ ، ٤٢
- (١٧٩) Davidson, pp. 70-74 ; Shinnie, p. 45
- (١٨٠) راجع ما سبق وانظر المغرب ص ١٧٧ ؛ Spitz, p. 61
- (١٨١) Bovill, p. 90
- (١٨٢) راجع ما سبق وانظر المغرب ص ١٧٧ ؛ Davidson, p. 88
- (١٨٣) Bovill, p. 81,
- (١٨٤) تاريخ ابن الوردى ص ١٦٠
- (١٨٥) تزهة المشتاق ؛ وانظر كذلك Shinnie, p. 47
- (١٨٦) عثر حوالى عام ١٩٠٠ م على قطعة ذهب تشبه هذه القطعة فى بامبوك ، إحدى مناطق الإقليم المشهور باسم (وثقارة) أو أرض الذهب ، كما وصفه الكتاب العرب ، وهذه المنطقة تابعة حالياً لجمهورية مالى ، وتقع بين رافدى السنغال : بافنج وغاليمى .
- راجع Bovill, p. 81 .
- (١٨٧) المقصود بالنيل نهر « النيجر »
- راجع De La Roncière, I, pp. 89, 90
- (١٨٨) تزهة المشتاق ص ٦
- (١٨٩) De La Roncière, I, p. 85
- (١٩٠) المغرب ص ١٧٦
- (١٩١) إمبراطورية مالى المؤلف ؛ ابن بطوطة ج ٤ ص ٣٠٩ ؛ Davidson, p. 85
- L. Lug., p. 99 ; Bovill, p. 81
- (١٩٢) (١٩٣) المغرب ص ١٧٥
- (١٩٤) تزهة المشتاق ص ١٤
- (١٩٥) المغرب ص ١٧٥
- (١٩٦) تزهة المشتاق ص ١٤
- (١٩٧) المغرب ص ١٧٥
- (١٩٨) الفتاش ص ٤٢
- (١٩٩) المغرب ص ١٧٩
- (٢٠٠) المغرب ص ١٧٦ ؛ أنظر كذلك
- Bovill, p. 82
- Hogben, pp. 28-29
- (٢٠١) أنظر برستد : انتصار الحضارة — ترجمة أحمد نغرى ص ١٦٨
- (٢٠٢) دول الهوسا للمؤلف ، راجع : Hogben, p. 29
- (٢٠٣) راجع ما سبق وانظر آثار كومي صالح .

- (٢٠٤) راجع ما سبق وانظر البكرى ص ١٧٤ - ١٧٥ .
- (٢٠٥) المغرب ١٧٧
- (٢٠٦) الإسلام واللغة العربية في نيجيريا للمؤلف ، راجع : قدامح ص ٤١ ، ١٣٩ ،
Blyden, pp. 14-15 ؛ ١٤٩ ، ١٤٢ - ١٤١
- (٢٠٧) راجع ما سبق وانظر البكرى ص ١٧٥
- (٢٠٨) راجع ما سبق
- (٢٠٩) لإمبراطورية مالي المؤلف ؛ راجع
De La Roncière, I, p. 88
Bovill, pp. 98-99 ; L. Lug., pp. 101-103
- (٢١٠) راجع De La Roncière, I, pp. 129-136 ; Palmer, pp. 205-206
- (٢١١) نزهة المشتاق ص ٦ ؛ L. Lug., pp. 98-99
- (٢١٢) ظهر التكاثر مرة أخرى في تاريخ غربي أفريقيا ، وقاموا بدور كبير في حركة
الجهاد الإسلامي والكفاح الوطني زمن الحاج عمر وابنه أحمد وفي القرن التاسع عشر الميلادي ،
وكان لهم إمبراطورية كبرى أزالها الاستعمار الفرنسي (إمبراطورية التكاثر للمؤلف) وراجع :
تاريخ ابن الوردي ص ١٥٢ ، ١٧٢ ؛
- Delafosse, Takruer (Encycl. of Islam), Vol. IV, p. 633 ; L. Lug., p. 115 ; Urvoy, p. 31 ; Trimmingham, p. 13 ; Cooley, pp. 97-98 ; Le Chatelier, p. 80 ; Fage, pp. 146-147
- (٢١٣) Shinnie, pp. 49-50
- (٢١٤) Spitz, p. 61
- (٢١٥) راجع ما سبق وانظر Thompson and Adloff, p. 521
- (٢١٦) ، (٢١٧) راجع ما سبق وانظر :
Hogben, p. 27 ; Davidson, p. 85 ; L. Lug., p. 93,
- (٢١٨) راجع ما سبق وانظر : Bovill, pp. 74, 84-5 ; Gouilly. pp. 50-51
- (٢١٩) راجع ما سبق وانظر : الاستقصا ج ٢ ص ٢١ - ٢٢ ؛
- Bovill, pp. 74, 84-85 ; Hogben, pp. 50-51 ; L. Lug., pp. 99, 110 ; Oliver and Fage, pp. 11-15 ; Spitz, p. 61 ; Davidson, p. 85 ; Fage, p. 22
- (٢٢٠) L. Lug., p. 115 ; Fage, p. 22 ; Le Chatelier, p. 80
- (٢٢١) ورد اسم سومانجورو بصور مختلفة منها : سومانهورو وسومانجور ؛
Sumanhoro, Sumanguru (Delafosse, Soso, Encycl. of Islam, Vol. IV), pp. 489-490 ; Traditions, pp. 21-30 ; Le Chatelier, p. 80 ; L. Lug., p. 115 ; Fage, p. 22 ; De Pedrals, p. 152 ; Talbot, p. 63)
- (٢٢٢) Bovill, p. 90 ; Yver, p. 140 ; Baumann, p. 392 ; L. Lug., pp. 165-166
- (٢٢٣) إمبراطورية مالي المؤلف ؛ صبيح الأعشى ج ٥ ص ٢٩٣ ؛ ليو الأفريقي :
الكتاب السابع ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ، قدامح ص ٣١ ؛ ابن خلدون ج ٥ ص ٢٩٣ ، ج ٦

Delafosse, Traditions, pp. 20, 30 ; Montell, pp. 65-66, ص ٢٠٠ ؛
69-70 ; Labouret, pp. 203, 241 ; Bovill, p. 86 ; Baumann, p. 392 ;
Fage, pp. 24-28 ; Cooley, p. 69 ; Urvoy, pp. 23-24 ; Shinnie, p. 51 ;
Hogben, p. 30 ; Oliver and Fage, pp. 85-86 ; Okafar, p. 28 ; De La
Roncière, I, p. 86 ; Spitz, p. 61 ; L. Lug., p. 119

راجع خريطة إمبراطورية غانة .

(٢٢٤) كان الهولنديون هم الذين أطلقوا اسم ساحل الذهب على هذه المنطقة في القرن
السابع عشر الميلادي.

(٢٢٥) من مراجع هذه الصفحة الأخيرة :

سلجيان (الترجمة العربية ، ص ٥٧) ؛ شيل ، دراسات في اقتصاديات القارة الأفريقية ،
ص ١٠١ ؛ قداح ص ٢٨ ؛ د. حسنين : الاستعمار الفرنسي ص ٨٣ - ٨٧ ، ١٠٠ ،

Johnston, pp. 301-315 ; Apter, D.E., The Gold Coast in Transition,
pp. 21-27 ; Church, pp. 227-229, 237-245, 360-363 ; Wiedner, p. 42 ;
Bourret, Ghana, pp. 1, 11, 14 ; Ward, pp. 46-47 ; Fage, pp. 70-71,
75 ; Talbot, p. 62 ; Thompson and Adolff p. 238 ; Kitchen, (Edit.)
pp. 326-346 ; Hance, The Geography of Modern Africa (New York,
1965) ; Fage, Ghana, A Historical Interpretation (Ma dions 1959).
Meyerowitz, The Akan of Ghana Their Ancient Belief (London,
1958).